

## الباب الثالث

# العولم الإسلامى

- نحو دور جديد للمرأة المسلمة  
في الاستراتيجيات الدعوية ..... د.رقية بنت محمد المحارب
- العلاقة بين الإخوان والسلفيين..  
أسباب التباعد واحتمالات التقارب ..... أ.أحمد فهمي





# نحو دور جديد للمرأة المسلمة في الاستراتيجيات الدعوية

د. رقية بنت محمد المحارب

المشرفة العامة على مؤسسة «لها أون لاين» والأستاذ المساعد بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

## ملخص الدراسة

لم تتجه الآيات والأحاديث التي وردت في وجوب الدعوة إلى الله تعالى ومشروعيتها للرجال دون النساء، بل جاءت في سياق العموم من غير تفریق، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويفهم من ذلك الشراكة بينهما في هذا العمل الذي أوجبه الله على المؤمنين كافة، رجالاً ونساءً، وقد بيَّنه تعالى في وصفه للمؤمنين والمؤمنات بقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

ولقد خاطب الله عز وجل المرأة بما خاطب به الرجل، إلا أنه تعالى خصَّها بتكاليف دونه تتوازي في الفضل والأجر، ويدخل في ذلك الدعوة إلى الله بمفهوم التبليغ والاحتساب على ذلك؛ لأن المرأة قادرة على تعلم العلم وتعليمه، وتبليغه بالوسائل المتعددة، دون أن تحمل نفسها ما لا طاقة لها به، خاصة مع انتشار التعليم النظامي، وتوفير وسائل التقنية الحديثة، وخروج النساء من بيوتهن حتى صار ذلك عرفاً، فاحتاجت المرأة إلى خطاب أختها ونصحها، وإصلاحها بكل وسائل الإصلاح، واحتاج الناس مع الاتساع في خروج النساء -حتى صار أصلاً- إلى دعوة مكثفة ومنظمة، للتبصير بأمور الدين، خاصة مع كثرة الشبهات والشهوات.

لذا فقد باتت الحاجة ملحة الآن إلى وضع استراتيجية متكاملة شاملة للعمل الدعوي النسائي في العالم الإسلامي، تحافظ على المكتسبات، وتدرس المستقبل. ولا ينبغي للحركات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة أن تُغفل دور المرأة عند رسم خرائط الاستراتيجيات الدعوية. بهدف إحداث نقلة نوعية في العمل المؤسسي النسائي، والتي تؤكد بشائرها بأنها ستؤتي ثمارها خلال السنوات القليلة القادمة -بإذن الله تعالى- بشرط دعمها وتقويتها ورعايتها.



# نحو دور جديد للمرأة المسلمة في الاستراتيجيات الدعوية



د. رقية بنت محمد المحارب

المشرفة العامة على مؤسسة «لها أون لاين» والأستاذ المساعد بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

تعيش الأمة الإسلامية اليوم حالة من الشتات والفوضى في الوقت الذي تتعرض فيه لمخططات ومؤامرات وُضعت على أسس علمية، واستراتيجيات معلنه صادرة من قِبَل مراكز بحثية قوية مدعومة من قبل مؤسسات، وتكتلات إقليمية ودولية، تهدف إلى القضاء على أي محاولة للنهضة، في أي مجال سواء كان سياسياً أو فكرياً أو تقنياً أو اجتماعياً، كما أنها متجهة لكل فئات المجتمع دون استثناء.

والمرأة كونها تمثل مكوناً رئيساً من مكونات المجتمع فلا غرابة إن كانت مركز الاهتمام في الجهود المبذولة لسلخ الأمة عن هويتها، وتأتي استراتيجيات تمكين المرأة والمؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة والسكان لتعبّر عن إصرار غير مسبوق نحو تحقيق هذه الأهداف.

وعلى ضوء ذلك فإن الواجب الشرعي يحثُّ القيام بواجب البيان والنصح بمنهجية علمية، ويدعو لتكاتف الجهود لوضع رؤية مستقبلية للدعوة الإسلامية في ظل هذا التكالب الأممي الصارخ الذي لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة.

وحتى يكون هذا البيان والنصح مؤثراً وفعالاً فلا بد من انطلاقه من خطة استراتيجية متكاملة، من فوائدها أنها تنقلنا من متابعة الأخطاء والترصد لها فحسب إلى إطار يكون فيه البناء هو الأصل.

**وهذا البحث يتناول دور المرأة المسلمة في الاستراتيجيات الدعوية، ويتناول تحديداً المحاور التالية:**

- الموقف الشرعي من العمل الدعوي للمرأة المسلمة.
- واقع المرأة في استراتيجيات الدعوة الإسلامية.
- أبرز التحديات التي تعيق الدور الدعوي للمرأة في العالم الإسلامي.. الواقع، وسبل المعالجة.
- وسائل زيادة فرص نجاح المرأة المسلمة دعويًا لخدمة دينها وأمتها.

**الموقف الشرعي من العمل الدعوي للمرأة المسلمة:**

الآيات والأحاديث التي وردت في وجوب الدعوة ومشروعيتها لم تتجه للرجال دون النساء بل جاءت في سياق العموم من غير تفریق، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

أَمْشِرِكَيْتَ ﴿ [يوسف: ١٠٨]، وقوله سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ حَيْثُ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

والولاية تكون في المحبة والإخاء، والنصح والنصرة، ويفهم منه الشراكة في هذا العمل الذي أوجبه الله عليهم، وقد بينه تعالى بقوله: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ دالٌّ على الدعوة، بل إن ذلك أصلها ومخها وعصبها.

كما أن الله عز وجل خاطب المرأة بما خاطب به الرجل، إلا أنه تعالى خصها بتكاليف دونه تتوازي في الفضل والأجر، كما دل عليه حديث أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنها، أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك، واعلم -نفسى لك الفداء- أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي: إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإهلك الذي أرسلك، وأنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم، وحاملات

أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فُضِّلْتُمْ علينا بالجمعة والجماعات، وعبادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن المرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها، ثم قال لها: «انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله». قال: فأدبرت المرأة وهي تهتل وتكبر استبشارًا. (١)

ويدخل في ذلك الدعوة إلى الله بمفهوم التبليغ والاحتساب على ذلك، إلا أن المرأة قادرة على تعلم العلم وتعليمه، وتبليغه بالوسائل المتعددة، دون أن تحمّل نفسها ما لا طاقة لها به، خاصة مع انتشار التعليم النظامي، وتوفر وسائل التقنية الحديثة، وخروج النساء من بيوتهن حتى صار ذلك عرفًا، فاحتاجت المرأة إلى خطاب أختها ونصحها، وإصلاحها بكل وسائل الإصلاح، واحتاج الناس مع الاتساع في خروج النساء -حتى صار أصلاً- إلى دعوة مكثفة ومنظمة، للتبصير بأمور الدين، خاصة مع كثرة الشبهات والشهوات.

**ولسائل أن يقول: ألا يكفي الرجال لمخاطبة المرأة، خاصة مع كثرة القنوات المحافظة، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وتوفر الكتب وغيرها؟! لماذا الحاجة للمرأة للقيام بذلك؟**

والجواب أن يقال: إن المرأة عندما تدعو إلى الله عز وجل، وتشر العلم الشرعي، فإنما هي تنفع نفسها في المقام الأول، وتستجيب لأمر ربها بتبليغ الدين، هذا من

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠/٦)، رقم (٨٧٤٣)، وابن عساکر (٣٦٣/٧).

الثغرات. وانهقدت الندوات واللقاءات التي تبحث عن دور للمرأة، وتتساءل عن سر الغياب الذي كان مرده لضخامة المتغيرات، وانكشاف المجتمعات مع تطور وسائل الاتصال.

من هنا بدأ الحديث مرة أخرى عن مدى تأهيل المرأة وقدرتها على القيام بتأسيس المشروعات، وإدارتها ووضع الخطط، وسلامة البرامج التي وضعت، وأدى ما يُشاهد من اختراق في المنظومة الفكرية والاجتماعية والتربوية في الأوساط النسائية إلى التساؤل عن غياب المرأة. وواقع الحال أن هناك نجاحات كبيرة لا تُتكرر حققتها المرأة في البلدان الإسلامية على المستوى الشعبي، والدليل على ذلك ما نلمسه من درجة العمق

في التفكير، والوعي، وإدراك للمخططات لدى فئة معتبرة من النساء، وما يتحقق من فشل ذريع للمشروع التغريبي الذي يدعم من قبل حكومات ومؤسسات، وبالقوة العسكرية أحياناً.

كما أن ما نراه من تأييد سواد الناس لإنشاء المؤسسات المتخصصة

في بناء القيم والأخلاق، وما يتحقق من رفض لوجود المنكرات هنا أو هناك دليل ظاهر على بقاء فطرة الناس الطيبة وحبهم لدينهم، ومع ذلك فإن الإمكانيات المتوفرة للمسلمين تفوق ما هو متحقق من نجاحات، الأمر الذي يحتم التفكير بجديّة في استثمار الفرص، ووضع الاستراتيجيات الجديدة التي تستحضر الواقع وتقرأ المستقبل.

إن شيوع كثير من المفاهيم مثل (الخطة الاستراتيجية - الجودة - الأهداف - الرؤية والرسالة - معايير التقييم - بناء المناهج - أسس التفكير السليم - المهارات الفردية - العمل المؤسسي - العمل الجماعي - الدراسات المستقبلية -.. إلخ) لدى بعض قيادات العمل الدعوي، دليل آخر على النهضة الحضارية التي تعيشها المرأة المسلمة بشكل عام، والنخبة المثقفة بشكل خاص،

جهة، ومن جهة أخرى، فإن المرأة حين تسمع للمرأة، فإن مجال المناقشة أوسع، والتعبير عن الأفكار والمواقف أسهل، وربما احتاجت سائلة أن تُسرّ بأمر تستحي من مصارحة الرجل به، وأكبر دليل على ذلك ما نراه من إقبال كبير على المحاضرات والندوات النسائية.

وقيام النساء بأدوار قيادية في المجالات التربوية والاجتماعية والتعليمية يدخل في مفهوم الدعوة إلى الله، إذا وُجدت النية الصالحة، ولذا فإن القول بأن المرأة ليست معنية بالدعوة إلى الله، وأن دورها محصور في أدوار محددة يفتقر إلى فهم الطبيعة البشرية.

### واقع المرأة في استراتيجيات الدعوة الإسلامية:

لا يُغفل دور المرأة في الدعوة إلى الله عند رسم استراتيجيات الدعوة الإسلامية لدى غالب الحركات الإسلامية، ولذا نرى نجاحاً طيباً للخطط الموضوعة إلى حد كبير في تخريج جيل من القيادات

وجدن أنفسهن أمام فرص دعوية لا حصر لها.

وفي الوقت الذي تعددت فيه فرص عمل المرأة، وما تبعه من إنشاء المؤسسات النسائية الرسمية والأهلية، وانتشار التعليم بكافة مستوياته، وكثرة المنابر الإعلامية من صحف ومجلات وقنوات فضائية، ومواقع إلكترونية وغيرها، فقد نتج عن هذا بروز تغيرات اجتماعية واقتصادية حتمت تطوراً في التفكير والأساليب لمواكبة المستجدات.

ولا بد من الاعتراف بأن ظروف تشكل هذا الجيل النسائي، الذي وجد نفسه في رأس الهرم دون مؤهلات كافية، أو وجد فجوة كبيرة بين الواقع والمأمول، وكوّن شعوراً اتسم بالتشاؤم والقلق من عدم القدرة على القيام بالمبادرات الضرورية، لملء الفراغ وسدّ

الذي يعمل على تنشيط الأخوات الحافظات للقرآن الكريم، وتثبيت القرآن في قلوبهن، وما يتبع ذلك من برامج تربوية من خلال المخيمات الصيفية في العطلة لحفظ القرآن الكريم والتربية على آدابه، وتمتد هذه المخيمات لتشمل اليوم كله لكافة المستويات.

كما أن مركز القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية وجد رواجاً كبيراً على مستوى المساجد في كل منطقة من المناطق في غزة عبر المحافظات الخمس، وتم تخريج داعيات بأعداد طيبة ومستويات ممتازة، وكن يتلقين العلم على أيدي علماء متخصصين في هذا المجال، وخاصة مجال فن التعامل مع الناس، وكيف ندعو الناس.<sup>(١)</sup>

ومثال آخر من المملكة العربية السعودية؛ حيث توجد كثير من الأنشطة المتعددة الموجهة للمرأة، ويمكن القول بأن المرأة صار معترفاً بها داخل المؤسسات الدعوية، كمخططة وقائدة، في انتقال نوعي من دور التنفيذ فحسب. كما أن الندوات والمؤتمرات الخاصة بالدعوة لا يمكن اعتبارها مكتملة إلا بحضور المرأة، كمشاركة بفكرها وخبرتها وعلمها، وهذا يدل على دور بارز منتظر منها، عبر إدخالها كعنصر مؤسس وفاعل داخل الأطر الاستراتيجية في جميع المجالات، بل بدا جلياً عناية الدعاة والعلماء والمثقفين بدور المرأة الفاعل في المجتمع من خلال المحاضرات والندوات والكتب والمقالات، وقامت جمعيات متخصصة في رسم الاستراتيجية الدعوية، خاصة فيما يتعلق بجانب التنسيق بين القطاعات النسوية العاملة، كما أقيمت مراكز بحوث متخصصة في الشأن النسائي.

وتمثل مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات، والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن والجمعيات الإغاثية والخدمات الاجتماعية كجمعيات الأسرة ومراكز الاستشارات، والجامعات والمدارس أبرز منابر الدعوة النسائية، والمنتظر قيام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بدور رائد في مجال

وهذا أمر وإن لم يكن قد وصل بعد إلى المستوى المأمول إلا أنه يبشر بالخير، ويشي بإحداث نقلة في العمل المؤسسي النسائي، سنشهد ثمارها خلال السنوات القادمة بإذن الله بشرط دعمها وتقويتها.

واليوم نرى أن مشاركة المرأة في استراتيجيات الدعوة الإسلامية تختلف باختلاف الميادين واختلاف البلدان، على تفاوت في مستوى المشاركة بحسب الظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية، إلا أنه من الملاحظ تطور مشاركة المرأة في الميدان الدعوي بشكل عام، بسبب الحاجة لمقاومة الفكر التغريبي، ووجود المرأة في ميادين العمل بصورة أكبر.

ومن صور هذه المشاركة في وضع وتنفيذ الاستراتيجيات ما يتعلق بالعمل النسائي الدعوي في فلسطين، ولست بصدد الحديث عن تاريخ العمل النسائي الفلسطيني، لكنني أعرض لملامح عامة، تدل على أن هناك تطوراً كبيراً في المستوى الفكري لدى المرأة الداعية الفلسطينية، اقتبسته من بحث حول غزة، وهي إحدى أهم المناطق في فلسطين، وأظن أن هناك جهوداً كبيرة مماثلة في بلاد أخرى كمصر والمغرب، والسودان وماليزيا، وتركيا وغيرها لم تسعفني المراجع المتوفرة لدي من ذكرها هنا:

ففي فلسطين نجد أن المرأة تشارك بفاعلية في لجان الوعظ والإرشاد، والقيام بإنشاء المؤسسات الدعوية، وتدرس في الجامعة الإسلامية في غزة اليوم الآلاف من الطالبات اللاتي اخترن التخصصات الدعوية، وهذا عدد فاق كل التصورات، ولأول مرة في تاريخ فلسطين يكون هناك عدد من الأخوات الحاصلات على معدلات ممتازة في نتيجة الثانوية العامة يخترن قسم أصول الدين، ومن الإنجازات الكبيرة إنشاء مشروع لإعداد الداعيات، بالإضافة إلى تنفيذ العديد من الدورات المكثفة في التلاوة والتجويد، ومن الأمور الاستراتيجية قيام وزارة الأوقاف بافتتاح دائرة خاصة للوعظ والإرشاد، وأخرى للقرآن الكريم تختص بتحفيظ القرآن الكريم وتلاوته، وكل ما يتعلق بعلوم القرآن، وأنشئ ما يسمى بـ«ديوان الحفظ»

(١) للاستزادة انظر: واقع المرأة الداعية في فلسطين، حوار مع د. صبحي رشيد اليازجي على الرابط التالي:

<http://www.wdawah.com/contents/23343>

## التحديات التي تعيق الدور الدعوي للمرأة في العالم الإسلامي



وأخذت على عاتقها تنفيذها وفق مدة زمنية على مستوى الأمة، وأعني بذلك أهل السنة، إلا أن هناك اجتهادات يمكن اعتبارها نواة لوضع استراتيجية دعوية نسائية.

### التحديات التي تعيق الدور الدعوي

#### للمرأة في العالم الإسلامي

#### وكيف يمكن التغلب على تلك المعوقات؟

في سياق العمل نحو كتابة استراتيجية دعوية نسائية؛ فإنه يلزم بحث التحديات التي تواجه المرأة الداعية، وسيكون الحديث متجهاً للعقبات التي يواجهها الجنس النسائي بشكل عام في مجتمعاتنا:

**أولاً: ضعف العناية بالدور النسائي الدعوي على المستوى الرسمي:**

لقد تطور الوعي لدى الجمعيات الدعوية والمؤسسات العلمية والفكرية، وبدأت بإشراك المرأة في التخطيط

تعزيز حضور المرأة في المجال الدعوي، وأن يتم تحويل هذه الجهود إلى مؤسسات وتقويتها، وإنشاء المزيد من المعاهد العلمية المتخصصة في تأهيل الداعيات، وكذلك يُطلب من الجامعات النظر بجدية في إنشاء تخصصات لتخريج المتخصصات في القضايا النسوية القادرات على المشاركة الإيجابية الواعية.

ومع أن الكتابة حول الاستراتيجيات الدعوية في الأوساط الرجالية والنسائية لا ترقى إلى المستوى المأمول، إلا أن الحاجة ملحة الآن إلى وضع استراتيجية متكاملة شاملة للعمل الدعوي النسائي في العالم الإسلامي تحافظ على المكتسبات، وتدرس المستقبل؛ لأن وضع الاستراتيجيات الدعوية عانى من التجاهل لفترة طويلة من قِبَل المؤسسات الرسمية والأهلية، ولا توجد -بحسب ما توفر لي من معلومات- استراتيجية وضعتها هيئة أو منظمة أو دولة إسلامية تُعنى بالعمل الدعوي،

هذا أننا نطالب المرأة الداعية أن تُعرض عن سنة الله بحجة الدعوة، ولكننا نحث الدعاة والمتقنين أن ينتقوا لأنفسهم النساء المؤهلات أو المناسبات للتأهيل الدعوي، كما أن على الرجل المعنيّ بشأن الدعوة أن يبذل كل سبيل لتأهيل زوجته أو أخته، أو ابنته للمشاركة الدعوية، ويصبر في سبيل ذلك ويتنازل عن بعض الأمور ليصل للهدف الذي تشده الأمة من أفرادها .

ووضع الاستراتيجيات، واتجهت كثير من المؤسسات الخاصة إلى استشارة المرأة، وأوكلت لها أدواراً كبيرة ومؤثرة، إلا أن هذا الدور بقي محدوداً في الجانب الرسمي؛ لأسباب تتعلق تارة بمكافحة ما يسمى بالإرهاب، وأخرى بعوامل فكرية، ففي بعض الدول لا يوجد في وزارات الشؤون الإسلامية المعنية بشأن الدعوة موظفة رسمية تعمل في المجال الدعوي، أو في مجال الاستشارة في الشأن النسائي، وبقي دورها محصوراً في إعطاء الموافقات والتصاريح للأنشطة النسائية، مع تحديد المآذون لهن بالمشاركة بعدد قليل جداً، وفق شروط صعبة، فضلاً عن أن كثيراً من هذه الجهات الرسمية تقوم بدور المثبط لأي نشاط توعوي نهضوي؛ حيث يغيب الاهتمام بتتمة مهارات العاملات في مجال الدعوة، ونتج عن ذلك وقوع هذه المناشط الدعوية رهينة اجتهادات فردية أو مؤسسية تطوعية، وهذا يُبرز حجم التحدي؛ إذ تفتقد الجهات غير الرسمية للقوة والدعم والخبرة.

إن تطور العمل الدعوي النسائي تواجهه صعوبات التخطيط المتخصص، والتنفيذ المستمر، فأغلب الأعمال الدعوية النسائية تعتمد على الجهود الفردية، حتى ولو تلبست بإطار مؤسسي، ولنضرب مثلاً على المقومات والإمكانات المتوفرة للمنصرين لندرك الفرق الهائل في المقدرات، وما ينتجه هذا من آثار، فقد أجرت مجلة الأسرة في عددها (١٠٤) مقابلة مع أحد القساوسة الذين من الله عليهم بالإسلام ذكر فيها مقارنة بين نشاط التصبير ونشاط الدعوة الإسلامية جاء في هذه المقارنة معلومات مهمة انظرها في الجدول المقابل.

### ثانياً: تعدد الأدوار المناطة بالمرأة:

إن المهمة التي تقوم بها المرأة في بيتها كبيرة وأساسية في المجتمع، فهي منتجة ومربية ومتباعدة، ومسئولة مسئولية عامة عن بيتها، والخروج للدعوة والانفعال بها قد يتعارض مع واجباتها. وإذا لم تجد الداعية ولياً متفهماً لمهمتها، معيماً لها، انشغلت بأمور ليست ذات أولوية لمثل مستواها؛ لذا تتعثر بعض المؤهلات للدعوة بعد فترة وجيزة من زواجها وإنجابها، ولا يعني

وجه المقارنة	التصنيف	الدعوة الإسلامية
الدعم المادي	دعم الحكومات الغربية ودعم الشركات الكبيرة.	دعم يسير يقوم به أهل الخير في ظل مضايقات كثيرة.
الأوقاف	مباني ضخمة وإيرادات وبدائل الضرائب	أوقاف قليلة جداً.
الإدارة	إدارات كبيرة وقوية تعتمد على دراسات علمية.	إدارة شخصية غير خاضعة لأي تقييم.
تأهيل الداعية	<ul style="list-style-type: none"> <li>* منذ طفولته يهيا للدعوة.</li> <li>* يخضع لدورات علمية عميقة.</li> <li>* يدرس طبيعة الشعب الذي يدعو فيه.</li> <li>* يتكلم ثلاث لغات على الأقل.</li> <li>* يستلم مرتبات ضخمة.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>* يرسل بطريقة عفوية.</li> <li>* بعضهم لا يعرف غير اللغة العربية.</li> <li>* لا يعرف كيف يخاطب الشعب.</li> <li>* مرتبات ضئيلة.</li> </ul>
شمولية الدعوة	<ul style="list-style-type: none"> <li>* تصبير وتأهيل للعمل المكتسب وإقامة إذاعة، وإغاثة وعلاج طبي وكليات علمية.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>* الاكتفاء بإلقاء المواعظ وتوزيع الكتب وأحياناً إغاثة وناذراً علاج.</li> </ul>
العلاقات الداخلية	<ul style="list-style-type: none"> <li>* علاقات مع سفراء الدول الغربية.</li> <li>* علاقات رسمية مع وزارة الداخلية.</li> <li>* علاقات بالإعلام والصحف.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>* لا توجد أي علاقات رسمية غالباً.</li> <li>* تعمل أحياناً في الخفاء مما يعرضها للإغلاق.</li> </ul>
الطاقم الدعوي	طبيب وممرض ومعلم وإدارة مالية وإدارة تموين وسيارات وطائرات .	داعية ومؤن إغاثية.

كما أن من المهم توفير الظروف المناسبة لتمكين المرأة الداعية من القيام بأدوارها المتعددة، ويعني هذا أن المتطلبات المادية والتقنية ينبغي أن تُضمّن وثيقة الاستراتيجية الدعوية النسائية، وما يتبع ذلك من قبل مؤسسات متخصصة مساندة للمرأة لغرض تسهيل مهمتها، وتوفير جهودها، وعلى سبيل المثال فإن من البرامج المقترحة:

وهذا الضعف الجبلي يعني اتجاه جهود المرأة الإصلاحية لما يناسب من الأعمال، وأتفق مع القول الذي يدعو بأن تركز المرأة جهودها إلى مساعدة الأسر في مجالات مكافحة الفقر والجهل والمرض، فعاطفة المرأة تجعلها أكثر إحساساً بالمعاناة، وأقدر على تلمس الحاجات. وهذا الأمر من فهم الطبيعة والخلقة وتضمينه في استراتيجيات الدعوة مهم جداً، فإن من العيب أن يكون الخطاب الدعوي معارضاً لمقولات المساواة ومفنداً لها في الوقت الذي تفضل فيه الممارسات في بيان هذا الأمر وتفعيله على مستوى الخطط والبرامج. ومن الظلم أن تطالب المرأة بممارسة الدور ذاته الذي يمارسه الرجل بالأدوات عينها.

**رابعا: الضغوط العالمية على الحكومات العربية للتوقيع على اتفاقيات تناقض ما تدعو إليه المرأة:**

من العقوبات الواجب الاعتراف بها الضغط الهائل على الحكومات من خلال اللجان التي تراقب وتلوح بالعقوبات إذا لم يتم تنفيذ مقررات ما يسمى بالشرعية الدولية، وهذا الضغط يتمثل في مقررات جملة من المؤتمرات المكثفة المعروفة التي منها دون التزام بالشمولية:

١- الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة والتي صدرت في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٢م.

٢- الاتفاقية بشأن جنسية المرأة المتزوجة، والتي عرضت للتوقيع والتصديق بقرار الجمعية العامة المؤرخ في ٢٩ يناير ١٩٥٦م.

٣- اتفاقية الرضا بالزواج، والحد الأدنى لسن الزواج، وتسجيل عقود الزواج، والتي عرضتها الجمعية العامة للتوقيع والتصديق بقرارها المؤرخ في ٧ نوفمبر ١٩٦٢م.

٤- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في عام ١٩٦٦م.

٥- الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة عام ١٩٦٧م.

- قيام دور حضانة خاصة بأولاد الداعيات تقوم بواجب الإيواء لأيام في بيئة تربية جيدة يؤدي إلى تخصيص وقت أكثر للمهمة الدعوية.

- قيام مؤسسات الأعمال بتنظيم الملتقيات والمؤتمرات النسائية .

**ثالثاً: الضعف التكويني للمرأة يحصرها في جوانب محددة وأعمال محدودة:**

حينما خلق الله المرأة أهّلها لمهمتها الرئيسة بجسد عاطفي غض، ولسان أقل فصاحة وأضعف في الخطاب وتحمل المشاق، مع أنها أقدر على تحمل الألم، وذلك لتكون مناسبة للإنجاب والرضاع والتربية، والقول الذي يروّج له دعاة التغريب بأن المرأة تتساوى مع الرجل في القوة، وأن ضعفها نتاج التربية الاجتماعية يفترق إلى العلمية.

ولا شك أن الدعوة ضرب من الجهاد، تحتاج إلى صبر وتركيز في طلب العلم، وطول اجتهاد في العبادة، كما تحتاج بعض المواقف لقوة في القلب، وصبر على المخالف، وتحمل للتبعات العاطفية التي يفرضها الوقوف ضد اتجاه فكري، وهذا أمر ليس من السهل على المرأة القيام به، دون مساعدة من أطراف أخرى، وقد يتطلب العمل الدعوي سفيراً وطول غياب عن المنزل، وهذا لا يتأتى للمرأة على كل حال، بل تحتاج المرأة الداعية لمن يلازمها في السفر، والالتزام بالأحكام الشرعية في السفر يعني بذل مزيد من الجهد وتحمل للصعاب، كما أنها ملتزمة بحجابها مبتعدة عن مواطن الاختلاط، فبقيت بعض المجالات غير مناسبة لها فهي لا تظهر في القنوات، وقل أن تنظم المؤتمرات الدولية.

وليس تلك المحدودية عيباً ولا نقصاً، وإنما هي كمال؛ لأنها ملتزمة بأمر ربها، وربما يطلق على هذا أنه نقص مجازاً إذا قورن بمجالات الدعاة من الرجال، فهي أقل من حيث المقارنة، وإن كانت وحدها قد وافقت المشروع وأبلغت في تحقيق المقصود.

يذكره التقرير، فالتيار (الإسلامي) المعتدل المقصود هو ذلك التيار الذي:

- ١- يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.
- ٢- يؤمن بحرية المرأة في اختيار «الرفيق»، وليس الزوج.
- ٣- يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.
- ٤- يدعم التيارات الليبرالية.

كما يحدد معايير الشركاء الذين سيساعدون على تنفيذ بناء الشبكات (المعتدلة) بحسب ما ورد في النص التالي:

«فيما يتعلق بالشركاء، فمن المهم جداً أن يتم تشخيص القطاعات الاجتماعية التي يمكن أن تشكل حجر الأساس للشبكات المقترحة، والأولوية في هذا الإطار، يجب أن تُعطى للأكاديميين والمفكرين المسلمين من الليبراليين والعلمانيين، وعلماء الدين الشباب والمعتدلين، والناشطين الاجتماعيين، والجمعيات النسائية المشاركة في حملة الدفاع عن حقوق المرأة، والكتاب والصحفيين المعتدلين».

أما اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة فتعد من أخطر العقبات التي تواجه المرأة، ذلك أنها صيغت بطريقة خبيثة تُفسَّر بحسب الإملاء الذي تمارسه اللجان المشكلة، وتأتي الخطورة من توقيع الدول عليها، ورفض أي تحفظ يتحفظ عليه الموقعون.

إن من المهم التنبه إلى الأدوار القادمة للصحافة والجمعيات النسائية، وأنها ستكون المدخل نحو تنفيذ الاستراتيجيات التغريبية، من خلال التحكم بتفسير مصلحات مثل (الوسطية) و(التسامح) و(الاعتدال)، وجعلها تعني الاستجابة لمتطلبات العولمة، وإلغاء المعاني الشرعية التي تتنافى مع الانفتاح بمفهومه العالمي الجديد!

من المهم ونحن نبحت وضع استراتيجيات للدعوة الإسلامية أن تتضمن برامج مضادة، مثل عقد ندوات

٦- الخطة العالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى السياسي والاجتماعي صدرت عن مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة المنعقد تحت شعار (المساواة والتنمية والسلام) عام ١٩٧٥م.

٧- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، التي اعتمدها الجمعية العامة وعرضتها للتوقيع والتصديق والانضمام بقرارها المؤرخ في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩م.

٨- استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة والذي عُقد في كينيا عام ١٩٨٥م.

٩- مؤتمر السكان في بكين عام ١٩٩٥م.

كل هذه المؤتمرات والاتفاقيات وغيرها مما لا يمكن حصره تتعلق بوضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وتهدف إلى تحقيق مبدأ المساواة في مختلف هذه المجالات. كما أنها تنص على الضمانات الكافية لذلك؛ إذ إنها تقر بضرورة اتخاذ التدابير المناسبة (بما في ذلك التدابير التشريعية) للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

ومن الإنصاف القول بأن هذه الاتفاقيات فيها ما لا يتعارض ومصصلحة للمرأة، لكن شرع ربنا كفل ما هو مثله وخيراً منه، وأما ما فيها من بنود تتناقض مع الشرع فإن عدداً من الدول ألزمت به ولم تلتفت لمعارضته للشريعة، مما أحدث تأثيراً له زخم وقوة إعلامية في مقابل الجهود الإصلاحية المفتقرة للدعم الرسمي.

هذه المقررات تمثل ضاغطاً لا يُستهان به على صانعي القرار، وتجعل من استحضارها عند رسم الاستراتيجيات أمراً مهماً.

وقد تضمنت الوثيقة التي صدرت عن مؤسسة راند عام ٢٠٠٧م وعنوانها (بناء شبكات مسلمة معتدلة) خارطة طريق تهدف إلى إعطاء دور بارز للمرأة في تغيير المجتمع، وفي دورها ضمن الشبكات، ووفقاً لما

إن إغفال هذه العوامل الفطرية عند وضع الخطط الاستراتيجية، أو النظر إليها بنوع من السخرية، لا يدل على فهم للطبيعة الأنثوية، كما أن عدم الاهتمام بها ينقص من تأثير رسالتنا الدعوية كسبب من أسباب تعثر الخطوات، فإن الاهتمام بعلم نفس المرأة واجب مُلحّ عند التفكير في التوجه نحوها بالخطاب الدعوي.

#### سابعاً: الحيف على المرأة لدى بعض المجتمعات وترسخ العادات القبلية المستندة لغير الشرع:

تواجه المرأة في بعض المجتمعات بتقاليد تخالف الشريعة، فبعض الأعراف تمنع المرأة من الميراث، وبعضها تمنعها من حرية اختيار الزوج، ويؤدي هذا التطرف إلى تطرف مضاد يرفض الشريعة بحجة وجود هذه القوانين القبلية، ويثور على كل حكم شرعي يخالف الحق الذي يقرره هو، أو الذي تقرره الاتفاقيات الدولية ذات المصدر التشريعي البشري.

إن قيام جمعيات تطالب بحقوق النساء الشرعية يقطع الطريق على من يؤدي وظائف بالوكالة لجهات خارجية تتخذ من هذه المطالب المشروعة لبعض النساء ستاراً لها. ولا نجد مبرراً للسكوت عما تعانيه المرأة من عنف أسري يقوم به من لا خلاق لهم من الرجال؛ حيث أضحت هذه الممارسات سبباً للهجوم على المرجعية الشرعية والمسلمات الدينية بدعاوى التطور والتحديث ومواكبة العصر.

#### ثامناً: ضعف التواصل بين الداعيات من النساء في البلاد العربية خاصة:

طبيعة المرأة وارتباطاتها العائلية تجعل من الصعوبة عليها السفر المتكرر الضروري لتوثيق العلاقات بين الداعيات، ولحضور المنتديات والمؤتمرات العلمية، كما أن ضعف التأهيل التقني للعاملات في المجال الدعوي يقلل من نجاح وسائل التقنية في سدّ هذه الفجوة .

تؤصل المصطلحات وتفسرها، وتبين حقوق المرأة وواجباتها، وتقدم تبييناً مستمراً للأوساط الشبابية خاصة يكشف ارتباط ما يُنشر في الصحافة بإرادة خارجية لغرض تحقيق أهداف لم تعد سراً.

#### خامساً: حداثة عهد الدور الدعوي النسائي وقلة الخبرة:

المتغيرات الكبيرة التي تواجهها مجتمعاتنا تحتاج إلى خبرات وممارسة وأساليب جديدة وأدوات مبتكرة، وهذه تحتاج إلى عقول تبتكرها، وهو ما لا يمكن تحقيقه مع الخبرات القليلة في الصفوف الدعوية النسائية، فالمرأة في المجال الدعوي (المقنن) يعوزها الممارسة وطول الخبرة، والزهد في تتبع خبرات السابقات في هذا المجال، فأنت تجد غالباً البرامج الدعوية النسائية تبدأ بدون خطط ولا استراتيجيات، ولا اطلاع على تجارب الآخرين، فيكون العمل معرضاً لإخفاقات متكررة، لاسيما في مجال البرامج والأنشطة الميدانية.

#### سادساً: قلة الموارد النسائية:

وإذا كانت التحديات المالية تطال الدعوة بوجه عام، فإن الدعوة النسائية تكاد تكون معدومة الموارد، فالنساء في الغالب لا يمارسن الأعمال التجارية ذات الدخل العالي فتصبح الموارد لأعمالهن محدودة، مما يبقي العمل الدعوي مرتهناً بالتطوع، ومرتباً به. كما أن اهتمام المرأة بالزينة ينعكس أيضاً في تعاطيها مع المناشط الدعوية فنجد أن منشطاً رجالياً قد يستغرق إعداداً أسبوعاً مثلاً، ويكلف مبلغاً محددًا يحتاج من المرأة أسبوعين وبضعف المبلغ بسبب الحرص على مظاهر الزينة والجمال المصاحب للنشاطات النسائية، فهل نقول: إن هذا العامل نتاج طبيعي لفطرة المرأة ﴿أَوْ مَن يُنْسَوُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]؟

### تاسعاً: الهجمة الشرسة على المرأة عبر وسائل الإعلام المتنوعة:

ترى الدكتورة نورة السعد أن التغيير المعرفي من خلال وسائل الإعلام يحدث حينما تقوم تلك الوسائل بتقديم المرأة ضمن (إطار معرفي) مخالف للتكوين المعرفي الذي لدى الجمهور عن دور المرأة؛ فهي ناجحة لأنها متحررة من ضوابط القيم، ومحط الأنظار لأنها استغلت النواحي الجمالية في جسدها، وهي مشهورة لأنه عُرف عنها مقاومة الأعراف والتقاليد..

وتوضح «السعد» بأن عملية التغيير المعرفي هذه تتم عبر عملية طويلة تتنوع فيها جزئيات التكوين المعرفي الجديدة التي يُراد إحلالها بدلاً من المعرفة القديمة، وتعرب عن أسفها لأن بعض وسائل الإعلام السعودية

صارت تتحدث باللغة ذاتها، مشيرة إلى أن ٤٠ ألف شركة عابرة للقارات تسيطر على جميع وسائل الإعلام في خمس قارات، وهذه الشركات هي التي تنتج البرامج الإعلامية، وهي تخاطب كل إنسان بما يتفق مع مرجعيته وثقافته. (١)

ويكاد الهجوم على التشريعات الإسلامية الخاصة بالمرأة لا

يهدأ، سواء من خلال الصحافة أو المسلسلات، وتشويه الحجاب، والتقليل من شأن المرأة من خلال إخراجها لجذب القراء في الصفحات الأخيرة من الصحف اليومية والمجلات والقنوات، وإبراز الحوادث الشاذة التي يتسلك من خلالها العلمانيون للحط من قدر المرأة، وإظهارها بالمجنني عليها من قبل الإسلاميين الذين يوصفون بالمتشددين.

كل هذه الضغوط تضع المرأة دائماً في دوامة ردود الأفعال، وتتسبب في الانصراف عن مشروعات البناء

(١) محاضرة للكاتبة د. نورة السعد، نُشر ملخص لها في موقع لها أون لاين.

الثقافي والنفسي، وبما أن وقت المرأة محدود وطاقاتها كذلك، فمن الطبيعي أن تساهم هذه الهجمات -التي لم تهدأ منذ أكثر من قرن- في إضعاف البنية المؤسسية للمشروع الدعوي النسائي، ووقوعه في أزمة كبيرة، تحتاج إلى وقفة طويلة لوضع الحلول التي تراعي الظروف مجتمعة.

إن تضمين استراتيجيات الدعوة النسائية ضرورة إنشاء المؤسسات الإعلامية المتخصصة يُتيح توزيع الطاقات، والتركيز على مشروعات البناء.

### وسائل زيادة فرص نجاح المرأة المسلمة دعويًا لخدمة دينها وأمتها

سبق إيراد جملة من التحديات التي تواجه المرأة

الداعية، وبعض المقترحات التي تساعد على التخفيف منها، وفي سياق وضع استراتيجية للتخفيف من حدتها؛ فإن من المهم استحضار أننا هنا ندير هذه الأمور استراتيجياً، بمعنى وضع الرؤى المستقبلية للدعوة النسائية، وتحديد الرسالة والأهداف، وبيان أبعاد العلاقات

المتوقعة بينها وبين بيئتها، ومن

ذلك ضرورة دراسة الفرص والمخاطر المحيطة بها، ونقاط القوة والضعف، وكل هذا يعتبر تمهيداً وأساساً لاتخاذ القرارات الاستراتيجية المناسبة، بما تشمله من معايير التقويم والقياس والجودة.

وهنا نستعرض بعضاً من الفرص التي ستساعد -باذن

الله- في تصور الحل المنشود:

#### ١- تثقيف المرأة ورفع مستواها العلمي:

إن إنشاء المعاهد العلمية الشرعية المتخصصة في تأهيل الداعيات خطوة مهمة نحو زيادة فرص النجاح الدعوي؛ لأن هذه المعاهد توفر الاحتكاك بخبرات

وتشابهها، وارتباط الأنشطة الموجهة للنساء بجوانب سياسية وثقافية تجعل من المهم اشتراك أكبر قدر من المختصين، بغرض التعرف على الواقع بشكل دقيق، ووضع إطار للعمل الدعوي النسائي شامل يفي بالاحتياجات، ويقوم بتعظيم الاستفادة من الموارد المتاحة. كما تساهم هذه المراكز في الدلالة على آليات جديدة من التواصل المعرفي والتأثير الفكري، وتتيح التواصل مع الباحثات في كل مكان، كما تساهم هذه المراكز في دراسة المسائل المستجدة في القضايا الدعوية النسائية، وتوفير المعلومات في وقت قياسي.

#### ٤- تدريب الداعيات على استخدام التقنية الحديثة

##### في التواصل:

إن استخدام التقنية الحديثة في تبليغ الدعوة أصبح مُسلماً به؛ لذا فمن المهم على الداعيات إلى الله أن يكون لكل منهن موقع شخصي تتواصل فيه مع أقاربها وجيرانها وزميلاتها في العمل وصدقائها، وعموم الناس تعليماً وتعلماً، ودعوة إلى الخير، وإجابة على أسئلة الناس، ووقوفاً معهم في مشكلاتهم الاجتماعية. كما أن إمكانية بث المحاضرات والدروس على الشبكة العنكبوتية يمثل فتحاً كبيراً أمام الداعيات إلى الله لبت الدعوة إلى المسلمين وغيرهم أينما كانوا.

#### ٥- المساهمة في رفع مستوى الداعيات الأكاديمي:

الشهادات العليا أصبحت مطلباً لالتحاق بصفوف الداعيات البارزات والمؤثرات، وربما أيضاً في نيل التصريح الرسمي للمساهمة في الدعوة، لذا فمن المهم التعاون مع القوائم بالدعوة لنبيل درجات عليا؛ عن طريق تسهيل شروط الالتحاق ببرامج الدراسات العليا كشرط التخصص، وسنة التخرج والعمر، ومن ذلك التواصل مع الناشطات الاجتماعيات والمثقفات والصحفيات وعضوات هيئة التدريس في الجامعات، بهدف بيان مهمتهن الحضارية في الدفاع عن القيم

دعوية راسخة، وتمدّها بمرجعية موثوقة لاستشارتها، كما أن اهتمام هذه المعاهد بتأصيل المسائل المستجدة يعطي حصانة للدارسة، ويقوّي من قوتها العلمية، ويزيد من ثقة المدعوات بها.

وبالتأكيد فإن الإطار المنهجي الذي يحكم هذه المعاهد سيكون له أثر بالغ على الدارسة؛ كونه يؤسس لتفكير مستقر ناضج منطلق من أصول ثابتة. إن الحاجة ماسة لظهور مؤسسات تكون مهمتها توفير البنى التحتية للمناهج الشرعية النسائية وتأليفها.

#### ٢- تدريب الداعيات على الأسلوب الخطابي والحواري:

تعتبر الخطابة أحد أهم وسائل التأثير، وتحصيلها ممكن من خلال إقامة الدورات التدريبية المتخصصة في الخطابة، ووسائل التأثير، وطرق إقناع الناس، وإثراء المتدربات بالكتب والحقائب التدريبية، وتيسير وصول المتدربات من المدن والقرى، وكفالة السكن والمعيشة، للتشجيع على مثل هذه الدورات، كل ذلك من شأنه تعميق الثقة بالنفس، ويعطي دفعة إلى مزيد من الأنشطة المنبرية.

إن طبيعة المرأة المتأثرة بالجانب العاطفي، وميلها إلى الاستماع أكثر من القراءة يساعد على التخفيف من حدة تأثير الصحافة التي تتحكم بها النخب العلمانية، لذا فإن استراتيجيات الدعوة ينبغي أن تتضمن تركيزاً بارزاً على إنشاء (الصالونات النسائية)، وإقامة المناشط المنبرية في الكليات والمدارس والمكتبات النسائية والمجمعات التجارية. ومن تجارب محدودة فإن استجابة كبيرة ونجاحاً ملحوظاً نتج من خلال تأهيل مجموعة من الموهوبات لخوض مجال الدعوة بالخطابة.

#### ٢- إنشاء مراكز بحوث ودراسات لإمداد المرأة بالمعلومات

##### التي تفيدها في مواكبة العصر:

أصبح إنشاء مراكز البحوث المتخصصة في شؤون المرأة حاجة ملحة، خاصة مع تعقد الأوضاع

## توصيات ومقترحات

بالإضافة لما تمت الإشارة إليه من قبل فإنه يلزم التواصل بالائتلاف والتعاون، ففي عصر تتكاتف فيه الجهود للوقوف ضد الإسلام ينبغي أن تتكاتف الجهود المسلمة لدفعه، وتتعاون لنشر دين الله في المعمورة، وفي هذا الإطار ينبغي لمن تتحمل الدعوة إلى الله أن تحرص على الائتلاف والتعاون لتحقيق مقاصد الشريعة لعمارة الأرض؛ فالاجتماع وتوحيد الكلمة بين الداعيات إلى الله من أئمة الضرورات، قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

ونعى الله على أهل الكتاب تفرقهم، واختلاف كلمتهم، بل عدَّ هذا من صفات المشركين الذين أمرنا بمخالفة هديهم، فقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . [آل عمران: ١٠٥]

ووجود منهج واضح في قبول الخلاف والتعامل معه بعيداً عن فرض الرأي بغير حجة من الله قائمة من أسباب الاجتماع، قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

كما أن الائتلاف حول مرجعية واحدة في البلد الواحد، أو على الأقل القبول بمرجعية عند الاختلاف وتفاوت وجهات النظر، يعتبر أساساً لجمع الكلمة، والاستعانة لتحقيق وحدة الصف بتعليم الناس الأصول والتفسير، والعناية بقلوبهم وصلاحتها، والتعاون والتواصل مع المخالف قدر الاستطاعة، والإعراض عنه دون التشريب عليه عند عدم القدرة على احتوائه، ومدافعتة بأهل الخير عند استطالته وتعديه. كما ينبغي التواصل مع مرجعية المخالف لمعرفة سبل الاتفاق، فإن الأقران قد يختلفون غيراً وحسداً لا أصلاً ولا منهجاً. وقد وجدنا من ذلك كثيراً في التاريخ الماضي والمعاصر.

والمبادئ، وتحميلهن المسئولية، وشرح بعض الجوانب المرتبطة بمطالب مشروعة في ذاتها للمرأة.

## ٦- التفاعل العالمي:

في خطوة نحو إثراء الداعيات بالمفاهيم العالمية، ولإكسابهن الخبرة في الحوار والمواجهة، يمكن ترشيح عدد من المشتغلات في الدعوة للتدريس في جامعات عالمية وفق ضوابط شرعية، ليتيسر لهن فرصة الالتقاء بالناشطات في البلدان الأخرى، ونقل الرسالة الدعوية إلى مجتمعات هي في أمس الحاجة إليها، خاصة تلك التي تنتشر فيها البدع والمفاهيم المغلوطة عن الدين، وتلك المستهدفة من جماعات التصير والرفض، خاصة في إفريقيا، والجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفييتي كطاجكستان، وألبانيا والبوسنة وغيرها .

كما أن إيجاد الفرص للنساء القائمات بالدعوة في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية للالتحاق بالدراسات الشرعية في الجامعات الإسلامية وكفالتهم ودعمهن بعد التخرج، مساهمة كبيرة في توطين الدعوة .

ويأتي موسم الحج ليمثل فرصة كبيرة لإكساب النساء الداعيات فرصاً لا تُحصى من الاحتكاك بمثقفات وداعيات، من دول العالم المختلفة، واستغلال مواسم تجمُّع الحجيج لبث الدعوة والتواصل مع حملات الحج وفق خطة مدروسة، ويمكن إنشاء مكتب متخصص في هذا المجال ليساعد في تحقيق ذلك، ويؤهل الداعيات، ويتواصل مع مسئولتي الحملات لوضع البرامج المناسبة .

وتمثل الكتابة وسيلة مهمة للتواصل مع القائمات بالدعوة في كل بلاد العالم، فالتجارب الموثقة والتقارير المفصلة تجعل من تكرار النجاحات أمراً ممكناً .

### المراجع:

- ١- تاريخ دمشق لابن عساكر «نسخة إلكترونية، موسوعة المكتبة الشاملة».
- ٢- راند: «خرائط وطرق» لصناعة شبكات إسلامية معتدلة واستراتيجيات لاختراق العالم الإسلامي.
- ٣- موقع لها أون لاين.
- ٤- الدكتورة حفيظة شقير، الاتفاقيات الدولية وحقوق المرأة في العالم العربي.
- ٥- مجلة الداعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم ديوبند الهند، عدد رمضان ١٤٢٩هـ.
- ٦- واقع المرأة الداعية في فلسطين.. حوار مع د. صبحي رشيد اليازجي.
- ٧- هندسة الدعوة، إصدار موقع دعوتها.
- ٨- مجلة الأسرة، عدد ١٠٤.

ومن المهم كذلك إيجاد آليات للتسيق وتوحيد الجهود الدعوية عبر الفضائيات من خلال مكتبٍ لتسيق الجهود الدعوية للتقليل من التضارب أو التباين في الطرح، وتخفيف حدة تناقض الحلول المقترحة، وتوفير الجهود، وترتيب أوقات البث.

والأمر ذاته ينطبق على مواقع الإنترنت، وهي من أنفع الوسائل وأكثرها فائدة، فالموقع عبارة عن مكتبة ضخمة، وغنية جداً بالمعلومات عن الإسلام، معروضةً بالمجّان للملايين من الناس، وبعده لغات، يطلع عليها الناس في أي زمان ومكان. كما أنها تتيح التعبير عن الرأي بحرية.

وكذا يجب تنظيم الحملات الإعلامية التي تؤدي إلى بيان الحق ونصرته.

كما أن إنشاء المواقع الإلكترونية التي تُعنى بالمرأة والأسرة، وتتناول الشأن العام بالبيان والتوجيه المنضبط بالضوابط الشرعية من أقوى وسائل نشر الخير، ومن أمتن ما يمكن الاعتماد عليه في بيان سبيل المجرمين والتحذير منها.

ومما يعين على وضع الاستراتيجية الاهتمام بالرسائل العلمية العالية ونشرها، والاهتمام الخاص بالإعلام الجديد الذي أصبح من أقوى وسائل الإعلام.

إن إشراك المرأة في وضع استراتيجيات الدعوة أمر محمود، وهو من أسباب إتقان الأعمال، نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، ويجعلنا ممن أخلص نيته، وأصلح عمله.



## معلومات إضافية

### نماذج من داعيات العصر النبوي

**أفقه نساء الأمة، أم المؤمنين «عائشة بنت أبي بكر»:**

بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، بن كعب بن لؤي؛ القرشية التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

تزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين. ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه - عليه الصلاة والسلام - من غزوة بدر، وهي ابنة تسع.

فروت عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وعن أبيها. وعن عمر، وفاطمة، وسعد، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وجدامة بنت وهب.

حدّث عنها عشرات من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ومن التابعين، ومسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

يقول صاحب سير أعلام النبلاء: «ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقاً، امرأة أعلم منها».

**أم المؤمنين «أم سلمة»:**

السيدة المحجبة، الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام.

من المهاجرات الأول. كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة. وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.

كانت تُعدّ من فقهاء الصحابيات، ولها جملة أحاديث، ويبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر حديثاً. وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر حديثاً.

روى عنها: سعيد بن المسيب، وشقيق بن سلمة، والأسود بن يزيد، والشعبي، وأبو صالح السمان ومجاهد، ونافع بن جبير بن مطعم، ونافع مولاها، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وشهر بن حوشب، وابن أبي مليكة، وخلق كثير.

**أم المؤمنين «حفصة بنت عمر»:**

الستر الرفيع، بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي أحد المهاجرين، في سنة ثلاث من الهجرة.

روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ومسندها في كتاب «بقي بن مخلد» ستون حديثاً. اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث. وانفرد مسلم بستة أحاديث.

روى عنها: أخوها ابن عمر، وهي أسنّ منه بست سنين، وحرثة بن وهب، وشثير بن شكل والمطلب بن أبي وداعة، وعبد الله بن صفوان الجمحي، وطائفة أخرى.

#### أم المؤمنين «ميمونة بنت الحارث»:

ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، الهلالية. زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس، وكانت من سادات النساء.

روت عدة أحاديث، فلها سبعة أحاديث في «الصحيحين»، وانفرد لها البخاري بحديث، ومسلم بخمسة. وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثاً.

حدث عنها ابن عباس، وابن أختها الآخر: عبد الله بن شداد بن الهاد، وعبيد بن السباق، وعبد الرحمن بن السائب الهلالي، وابن أختها الرابع: يزيد بن الأصم، وكريب مولى ابن عباس، ومولاها سليمان بن يسار، وأخوه: عطاء بن يسار. وآخرون.

#### العالمة الفقيهة «أم الدرداء الصغرى»:

السيدة العالمة الفقيهة، هُجِيْمَة - وقيل: جهيمة - الأوصابية الحميرية الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى. روت علماً جمّاً عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة.

وعرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء. وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد.

حدث عنها جبير بن نفير، وأبو قلابة الجرمي، وسالم بن أبي الجعد، ورجاء بن حيوة، ويونس بن ميسرة، ومكحول، وعطاء الكيخاراني، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وزيد بن أسلم، وأبو حازم الأعرج، وإبراهيم بن أبي عبله، وعثمان بن حيان المري.

قال مكحول : كانت أم الدرداء فقيهة.

وعن عون بن عبد الله، قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها.

وقال يونس بن ميسرة: كانت النساء يتعبدن مع أم الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام، تعلقن بالحبال.

قال إسماعيل بن عبيد الله: كان عبد الملك بن مروان جالساً في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء معه جالسة، حتى إذا نودي للمغرب قام، وقامت تتوكأ على عبد الملك حتى يدخل بها المسجد، فتجلس مع النساء، ويمضي عبد الملك إلى المقام يصلي بالناس.

وعن يحيى بن يحيى الفسائي، قال: كان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخرة المسجد بدمشق.

### خطيبة النساء «أسماء بنت يزيد»:

أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، ابنة عم معاذ بن جبل، وكانت تسمى -أيضاً- «فكيهة»، وتكنى بـ «أم سلمة» أو «أم عام الأشهلية».

من المحدثات الفاضلات ومن ذوات العقل والدين والخطابة حتى لُقِّبت بخطيبة النساء.

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدداً ليس بالقليل من أحاديثه، كما روى عنها العديد من الصحابة والتابعين، وروى عنها الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

كانت من النسوة اللاتي بايعهن رسول الله (يوم الحديبية). تقول: إن رسول الله قبض يده وقال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولتي لأمأة كقولتي لامرأة واحدة، أو مثل قولتي لامرأة واحدة» [رواه الترمذي والنسائي].

كانت عند رسول الله (والرجال والنساء فُعُودٌ معه، فقال: «لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها». فسكتوا فقالت: إي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. فقال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها (أي: جامعها) والناس ينظرون» [رواه أحمد].

وقد شهدت «أسماء» مع رسول الله (فتح مكة، ثم امتد بها العمر حتى شهدت موقعة اليرموك سنة خمس عشرة من الهجرة. ويُقال: إنها قتلت من الروم تسعة بعمود فسطاطها (خيمتها).

### الفقيهة العالمة «صفية بنت شيبة»:

صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، الفقيهة العالمة أم منصور، القرشية العبدرية المكية الحنبلية.

وهي راوية من راويات الحديث الثقات، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنن أبي داود، والنسائي، وهذا من أقوى المراسيل، وروت عن: عائشة، وأم حبيبة، وأم سلمة، أمهات المؤمنين، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أسماء بنت أبي بكر وأم عثمان بنت سفيان وغيرهن.

حدث عنها: ابنها منصور بن عبد الرحمن الحنبلية، وسبطها محمد بن عمران الحنبلية، والحسن بن مسلم بن يناق، وإبراهيم بن مهاجر، وقتادة، ويعقوب بن عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي المقرئ، والمغيرة بن حكيم وعبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور وغيرهم.

قال يحيى بن معين: أدركها ابن جريح ولم يسمع منها، وذكرها ابن حبان في ثقات التابعين.

### المصادر:

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، نسخة إلكترونية:

[http://www.islamweb.net/newlibrary/display\\_book.php?idfrom=1&idto=6536&lang=A&bk\\_no=60&ID=1](http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=1&idto=6536&lang=A&bk_no=60&ID=1)

الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، نسخة إلكترونية:

<http://www.al-eman.com/Islamlib/viewtoc.asp?BID=397>

موسوعة الأسرة المسلمة الإلكترونية:

<http://islam.aljaryash.net/encyclopedia/book-14-39>



# العلاقة بين الإخوان والسلفيين.. أسباب التباعد واحتمالات التقارب



أحمد فهمي

باحث في الشؤون السياسية

## ملخص الدراسة

على الرغم من ظاهرة التمدد الإسلامي، أو ما يُعبّر عنه بـ«الصحوّة» التي تعيشها وتشهدها المجتمعات الإسلامية، وحتى الغربية -بالنظر إلى انتشار الجاليات الإسلامية في الغرب-، إلا أن التيارات الإسلامية تمر بحالة من العداء «البيني» المرکز؛ وذلك نتيجة توحّد جهود أطراف دولية ومحلية لمواجهة الظاهرة الإسلامية المتنامية. وهو ما أثر بدوره على الأداء الإسلامي بصورة عامة.

حيث استغل خصوم الإسلاميين تعدّد الاتجاهات والجماعات داخل بنية العمل الإسلامي لتنفيذ مخططهم لواد ظاهرة الصحوّة الإسلامية، عبر اتباع سياسة «الإجهاض التبادلي» في مواجهة «الخطر» الإسلامي، هروباً من التورط في حرب عامة ضد قطاعات واسعة داخل المجتمعات المسلمة في وقت واحد، وشملت هذه السياسة الاتجاهات الثلاثة الرئيسة في العمل الإسلامي: العلمي، السياسي، الجهادي.

ويمكن القول: إن التيارات العلمية والسياسية -أي السلفيين والإخوان بصفة عامة- يشكّلون الكتلة الرئيسة داخل العمل الإسلامي، إلا أن تاريخ التنافس والخصومة بين هذين التيارين -الإخوان والسلفيين- قد قلل من قوتها الجمعية التأثيرية في المجتمع، فكان من السهل على خصومهما إخضاعهما لسياسة «الإجهاض التبادلي» بكفاءة؛ وذلك من خلال القيام بـ«تسكين» أو «تحييد» أحد التيارين تفرغاً للآخر، وصولاً إلى الدفع بأحدهما كأداة للمشاركة في حصار الطرف الآخر.

وعلى الرغم مما سبق فإن الواقع الإسلامي يقدم نماذج مشرقة لتيارات من الصحوّة في بعض دول الخليج ومصر؛ باعتبارها نموذجاً راقياً في التعامل مع الجماعات المخالفة لها في الرأي والاجتهاد، بعيداً عن التعصب؛ حيث نجحت في تحقيق مستويات مقبولة -وإن لم تكن المنشودة- من تخفيف حدة التأزم البيني بين أبناء الأمة الواحدة، ومن ثمّ فإن هذه النماذج قابلة للاقتداء بها، وتحتاج إلى تفعيل تجاربها على كافة المستويات لتجميع جهود الأمة ومواجهة استراتيجيات ومخاطر «التفتيت».

لذا؛ فإنه ينبغي على التيارين الإسلاميين الكبيرين أن يوقفا كافة الحملات الإعلامية الصراعية بينهما، وأن يتم استبدالها بوسائل وقتوات راشدة لتبادل الخبرات، والاضطلاع بوضع آليات لاحتواء الخلافات الميدانية، وتأسيس لجان متخصصة لمتابعتها، وحل الإشكالات الناجمة عنها، مع الاتفاق على مرجعية تحكيم للفصل في النزاعات المشتركة، تضم علماء ودعاة من الطرفين مشهود لهم بالاعتدال والإنصاف.



# العلاقة بين الإخوان والسلفيين.. أسباب التباعد واحتمالات التقارب



أحمد فهمي

باحث في الشؤون السياسية

مقدمت:

بعد ما يقرب من أربعين عاماً من انطلاق مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، لم يعد خافياً أن التيارات الإسلامية أصبحت طرفاً رئيساً ومؤثراً في مجريات الأحداث في غالبية الدول العربية، فالساحة الدينية يعلو فيها الخطاب الديني للإسلاميين، والساحة السياسية تمخضت عن صراعات تدور بالأساس لمنع التيارات الإسلامية من تحقيق مكاسب تتجاوز الخطوط الحمراء.

لكن رغم التمدد الإسلامي -أو بسببه- فإن التيارات الإسلامية تواجه منذ سنوات حالة من العداء المركّز؛ نتيجة توحيد جهود أطراف دولية ومحلية لمواجهة الظاهرة الإسلامية المتنامية، وهو ما أثر بدوره على الأداء الإسلامي بصورة عامة، وصار لزاماً على الإسلاميين أن يجمعوا بين عدد من المتناقضات التي أفرزها الواقع المعقد: بين النشاط والسكون، بين التمدد والانكماش، بين الانطلاق والحذر، بين المشاركة والانعزال.. إلخ.

ونتيجة لتعدد الاتجاهات والجماعات داخل بنية العمل الإسلامي، لجأ خصوم الإسلاميين إلى اتباع سياسة «الإجهاض التبادلي» كأحد وسائل مواجهة «الخطر» الإسلامي، هروباً من التورط في حرب عامة ضد قطاعات واسعة داخل المجتمع في وقت واحد، وشملت هذه السياسة الاتجاهات الثلاثة الرئيسية في العمل الإسلامي: العلمي، السياسي، الجهادي.

تمثل التيارات العلمية والسياسية -أي السلفيين والإخوان بصفة عامة- الكتلة الرئيسية داخل العمل الإسلامي؛ إذ تصل التقديرات حول عدد المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين في مصر إلى نحو نصف مليون عضو، وأكثر من مثلهم من المحبين والمتعاطفين<sup>(١)</sup>، ومع إضافة المنتمين والمؤيدين للتيارات السلفية، فإن العدد لن يقل عن مليوني شخص.

وفي دول الخليج رغم ندرة المعلومات الإحصائية، إلا أنه من خلال تتبع أرقام توزيع المطبوعات الفكرية ومؤشرات أخرى، فإن عدد المنتمين والمتأثرين والمتعاطفين مع التيار الإسلامي لن يقل عن مليون شخص.

إلا أنه بالنظر إلى تاريخ التنافس والخصومة بين تياري الإخوان والسلفيين، فإن هذه الأرقام فقدت قوتها الجمعية التأثيرية، فكان من السهل على خصومهما إخضاعهما لسياسة «الإجهاض التبادلي» بكفاءة؛ حيث يتم تسكين أحد التيارين تفرغاً للآخر، وأحياناً كان يتم دفع أحدهما للمشاركة في حصار الطرف الآخر.

(١) حسام تمام، تحولات الإخوان المسلمين.. تفكك الأيديولوجيا ونهاية التنظيم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م، ص ٩.

الأخرى، ويمكن حصر المآخذ الشرعية للسلفيين في هذه «العناوين»:

التحزب وتكوين الجماعات التي تفرّق المسلمين - البيعة - التلبس بنزعات صوفية بدءاً بالمؤسس الشيخ حسن البنا (رحمه الله) - قلة الاعتناء بالعلوم الشرعية- ترك الدعوة إلى نبذ الشرك ومظاهره في المجتمع- ضعف الولاء والبراء، خاصة تجاه الأقليات مثل النصارى والشيعية- الاستهانة بالسنن- التميع في الفتوى، - إقرار الأحكام الشرعية على غير وجهها الصحيح.

ويمكن ملاحظة أن منتقدي الإخوان ليسوا -فقط- من آحاد السلفيين في واقع الأمر، بل منهم بعض كبار العلماء والرموز الدينية في الأمة من أمثال الشيوخ: ابن باز وابن عثيمين، والألباني، رحمة الله عليهم جميعاً.

لكن لا تتفق كل التيارات السلفية في مستوى انتقادها العلمي للإخوان، بمعنى: ليست كل الانتقادات العلمية للإخوان مجمعةً عليها من قِبَل جميع التيارات السلفية، وبالتالي يختلف موقف كل منها من الإخوان قريباً وبعداً؛ بحيث إن البعض يبدّع الإخوان، والبعض الآخر ينادي بالتنسيق معهم، وتصل الانتقادات العلمية من بعض السلفيين للإخوان حد وصفهم بأنهم من الفرق الضالة، أي من الثنتين وسبعين فرقة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه، كما قال بعض العلماء بأنهم ليسوا من أهل السنة؛ لأنهم يحاربون السنة.

وعلى الرغم من أن طائفة كبيرة من السلفيين تتفق على قائمة طويلة بمخالفات الإخوان الشرعية، لكن يختلف هؤلاء السلفيون فيما بينهم حول طرق التعبير عن هذا النقد، فمنهم من يعلنها عداوة وخصومة بلا هوادة، ومنهم من يعرضها في سياقها العلمي العام، ومنهم من يتجنب الحديث عنها في الملأ ووسائل الإعلام.

ويبقى أن المنحى العام للإخوان فيما يتعلق بالانضباط الشرعي من المنظور السلفي هو في هبوط. يقول الدكتور ياسر برهامي - وهو من الرموز

هذه الآثار السلبية للتعدد داخل بنية العمل الإسلامي دفعت بعض المفكرين إلى طرح تساؤلات حول ما إذا كان هذا التعدد يمثل ظاهرة إيجابية في المنظور العام؛ كونه يرسّخ تكاملاً وشمولاً للحركة الإسلامية، أم أنه ظاهرة سلبية في المطلق، لم يجن منه العمل الإسلامي إلا المفاسد؟

### نلاحظ في هذا الصدد ثلاثة اتجاهات:

**أولها:** ينظر إلى التعدد على أنه سلبي بالمطلق، ولم ينتج عنه إلا المفاسد، وأن الأصلح للأمة أن يكون هناك تيار إسلامي واحد.

**ثانيها:** يرى أن التعدد إيجابي بالمطلق، وأنه أفاد العمل الإسلامي كثيراً في تجنب جهود التصفية، وأن الخلافات البيئية هي خسائر مقبولة في معركة إعادة الإسلام.

**ثالثها:** أن التعدد يتضمن جوانب إيجابية وأخرى سلبية، وأنه يجب التعامل معه كحقيقة واقعة نُقِرَ بها، ولا نرفضها، مع وجوب العمل على تلافي آثارها السلبية، وفي مقدمتها العداة والخصومة بين فصائل العمل الإسلامي.

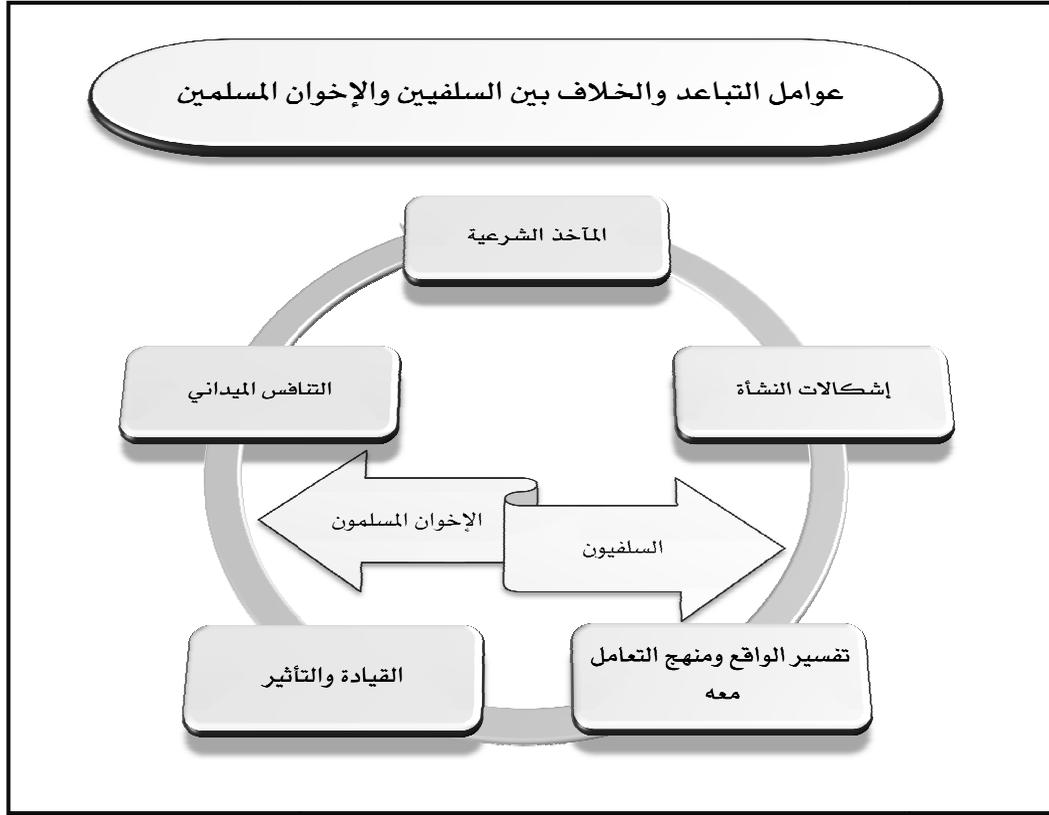
هذه الدراسة تتطرق من الاتجاه الثالث لتناقش وتحلل العلاقة بين الإخوان والسلفيين من خلال محورين: أسباب التباعد- احتمالات التقارب وصولاً إلى تنقية التعدد من آثاره السلبية.

### ما هي أسباب الاختلاف بين التيارين؟

من خلال النظر في واقع العلاقة والتجارب المباشرة والأدبيات المنشورة ورقياً وإلكترونياً، فإنه يمكن تقسيم عوامل التباعد والخلاف إلى خمس مجموعات متجانسة نعرضها فيما يلي:

#### ١- المآخذ الشرعية:

يتركز انتقاد السلفيين لجماعة الإخوان المسلمين في الجانب العلمي أكثر من غيره من العوامل



الإسلامي بوصفهم الجماعة الأم، التي انبثقت منها غالبية الجماعات الإسلامية لاحقاً؛ كونها تأسست في مصر في عام ١٩٢٨م عقب سقوط الخلافة مباشرة، وهي في نظر الكثيرين أول ردة فعل قوية من الأمة على سقوط الخلافة.

لكن من وجهة النظر السلفية فإن غالبية التيارات السلفية ترتبط في نشأتها -وإن معنوياً- بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية التي سبقت دعوة الإخوان بعدة قرون، وتمكنت من إقامة دولة إسلامية على الكتاب والسنة، وهو ذروة ما تهدف إلى تحقيقه كافة الحركات الإسلامية المعاصرة، وهي بذلك قدمت تجربة ثرية للأمة بأسرها استفادت منها حركة الإخوان المسلمين نفسها، كما أصبحت منبراً يقتبس منه السلفيون.

يقول الدكتور ياسر برهامي: «كان لقاء المشايخ ابن باز وابن عثيمين، وابن قعود والجزائري، وعبد الرزاق عفيفي من أكثر المؤثرات في توضيح معالم المنهج بعد

السلفية البارزة في مصر- عن منهج الإخوان قديماً: «كان المنهج فيه قرب كبير، أو فيه روافد كثيرة من المنهج السلفي، ولم يكن منهج الإخوان في ذلك الوقت به هذا القدر الكبير من التميع الحالي، لقد وُجدت داخل الإخوان توجهات سلفية قوية متأثرة بجهود الشيخ محمد رشيد رضا، الذي كان أستاذاً للشيخ حسن البنا، وكذا جهود الشيخ حامد الفقي والشيخ محب الدين الخطيب اللذين يعدان من قرناء الشيخ البنا، رحمهم الله جميعاً»<sup>(١)</sup>.

## ٢- إشكالات النشأة:

### تثير النشأة ثلاثة إشكالات تفاقم من انفوربين الإخوان المسلمين والسلفيين:

الإشكالية الأولى: ينطلق الإخوان في حراكهم

(١) الدكتور ياسر برهامي: «في شهادته عن نشأة الدعوة السلفية في الإسكندرية»، على موقع إسلاميون. إسلام أون لاين، ج١، على هذا الرابط:

[http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1252188116278&pagename=Islamyoun%2FIYALayout&ref=body&ref=body](http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1252188116278&pagename=Islamyoun%2FIYALayout&ref=body&ref=body)

يقدم الدكتور ياسر برهامي الرواية السلفية لما جرى في هذه الحقبة فيقول: «خرج الإخوان المسلمون من السجون والجماعة الإسلامية موجودة على أرض الواقع بمنهجها السلفي النقي، وفي بداية الأمر لم يحاول الإخوان إظهار كبير فرق، وكانوا مثلاً يحافظون على الهدي الظاهر، ولم يتعرضوا للكتب السلفية التي ندرسها، وظل الأمر على ما هو عليه من دعوة الجماعة الإسلامية المتميزة بمنهج سلفي واضح جداً مع الاستفادة بالطاقة الحركية الموجودة عند الإخوان، وتمت معسكرات صيفية سنة ٧٧، ٧٨، ٧٩ كلها كانت ذات منهج سلفي، كان يوزع فيها كتاب (الأصول العلمية للدعوة السلفية)، وكان يدرس فيها كتاب (تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران)، كلها كانت صبغة سلفية في جميع الأشياء..»

بدأ النزاع يظهر بعدما قويت شوكة الإخوان، ومع محاولة فرض منهجهم على الجماعة الإسلامية، فبعض الشباب اختار المحافظة على المنهج، ولو على حساب الجماعة، والبعض الآخر اختار المحافظة على الجماعة ولو على حساب المنهج.. ظهر التمايز بينهما على السطح في أوائل سنة ١٣٩٩هـ.. ولما حضرت إلى معسكر الجماعة الإسلامية كالمعتاد وجدت تغييراً كما يقولون مائة وثمانين درجة إلى منهج الإخوان، فلم أستطع أن أكمل المعسكر وانسحبت، وانسحب معي مجموعة كبيرة من الإخوة، وهنا ظهر أن هناك عملاً إخوانياً صرفاً»<sup>(٢)</sup>

**الإشكالية الثالثة:** ترافق مع نشأة الثانية للإخوان المسلمين في حقبة السبعينيات وجود تيار سلفي قوي في أغلب الدول العربية، وكان لهذا التيار رموزه الدينية وعلماءه البارزون، وقد أدى هذا الترافق

شيخ الإسلام ابن تيمية، ومدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وقد أَلَّفَ الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم -وهو من علماء السلفية المعروفين في مصر- كتاباً بعنوان «خواطر حول الوهابية»، يكشف حجم تأثير الحركة الإسلامية في مصر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

وبالتالي فإن الدعوة السلفية لها قدم سبق وشرف المبادرة إلى تغيير واقع الأمة الإسلامية، كما أن تأثيرها الشرعي والفكري امتد ليشمل دولاً عديدة في أنحاء العالم منذ نشأتها وحتى الآن، وتأسيساً على ذلك فلا يحق للإخوان أن يقدموا أنفسهم بوصفهم الجماعة الأم للحركات الإسلامية.

**الإشكالية الثانية للنشأة:** تعود إلى مرحلة السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، عندما عادت الحركة الإسلامية من جديد للانبعث بعد أفول نجم القومية العربية، وفيما عرف لاحقاً بـ«الصحوة الإسلامية».

في بداية تلك الحقبة بمصر، كانت الجامعات تموج بالنشاط الدعوي للجماعة الإسلامية التي كانت ذات طابع سلفي عام، وكان القادة التاريخيون للإخوان يخرجون من المعتقلات تباعاً؛ حيث اكتشفوا أن الجماعة لم يعد لها قاعدة جماهيرية وسط التجمعات الطلابية بتأثير سنوات الاعتقال الطويلة لقادة الحركة ونشطاتها، ولم يكن أمامهم والحال هكذا سوى خيارين لا ثالث لهما: إما اللجوء إلى الطريق الطويل والشاق بتكوين قاعدة مستقلة للجماعة من شرائح المجتمع المختلفة، وإما اختراق الجماعة الإسلامية القائمة بالفعل، وتحويل أتباعها إلى اعتناق منهج الإخوان، وقد وُضِعَ الخيار الثاني موضع التنفيذ.

(٢) الدكتور ياسر برهامي: «في شهادته عن نشأة الدعوة السلفية في الإسكندرية»، موقع إسلاميون. إسلام أون لاين، ج٢، على هذا الرابط:

[http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1252188116162&pagename=Islamyoun%2FIYALayout&ref=body&ref=body](http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1252188116162&pagename=Islamyoun%2FIYALayout&ref=body&ref=body)

(١) الدكتور ياسر برهامي: «في شهادته عن نشأة الدعوة السلفية في الإسكندرية»، موقع إسلاميون. إسلام أون لاين، ج٢، على هذا الرابط:

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1252188303314&pagename=Islamyoun%2FIYALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1252188303314&pagename=Islamyoun%2FIYALayout)

فيطرحون الأمر بصورة مختلفة: لماذا يجوز هذا التصرف؟ وبعبارة أخرى، فإن السلفيين يتوقفون كثيراً قبل الإقدام على أمر أو فكر، أو وسيلة جديدة في الدعوة - أحياناً أكثر من اللازم - حتى يستوفوها حقها من البحث والدراسة، بينما الإخوان يضعون أنفسهم في وضعية التأهب والاضطرار وتضييق الخيارات، حتى لا يجدوا أمامهم إلا البحث عن مسوغات للفعل الذي لا يملكون - بحسب رؤيتهم - سبيلاً للعدول عنه، ولذلك تأتي تأويلاتهم في كثير من الأحيان مشابهة لمسألة «أكل الميتة للمضطر»؛ حيث إن أغلب ظروفهم «اضطرارية».

لكن مما يقلل من تأثير هذا العامل - نسبياً - في اتساع الهوة بين الإخوان والسلفيين، هو الاختلاف الداخلي بين السلفيين أنفسهم حول هذه المسألة تحديداً وهي تفسير الواقع والتعامل معه.

فأغلب التيارات السلفية تعتمد في مواجهة الانحرافات أسلوب التعليم أو الدعوة المباشرة، وقليل منها من يوسّع دائرة الوسائل والأساليب، كما تتفاوت الجماعات السلفية في ترتيب أولويات الانحرافات، حتى وإن كانت تتفق في غالبيتها على كون تصحيح العقيدة هو الهدف الأسمى، ففضية تحكيم الشريعة هي من الأولويات عند البعض، بينما يؤخرها آخرون ويجعلون محاربة مظاهر الشرك والقبورية على رأس قائمة الأولويات.

مثال آخر هو: مسألة المشاركة في الانتخابات النيابية، بعدها بعض السلفيين مخالفة عقديّة تصل في بعض ممارساتها إلى حد الإشراك بالله، بينما ينظر إليها بعضهم بوصفها وسيلة دعوية للإصلاح والتغيير، فنجد تيارات سلفية تشارك بقوة في الانتخابات في دول مثل الكويت والبحرين، وحتى في الدول الأكثر علمانية مثل الجزائر، بادرت قطاعات

-منذ النشأة- إلى تزايد مساحات العمل المشتركة بين التيارين، وهو ما أسفر عن اتساع رقعة الخلاف وتجاوزها لأي محاولات -نادرة- لرأب الصدع.

### ٣- تفسير الواقع ومنهج التعامل معه:

يُعد تشخيص الواقع وتحديد مواطن الخلل، وكيفية معالجتها، من أبرز مواطن الخلاف بين المنهجين السلفي والإخواني، وهو ما يزيد من صعوبة تلاقي التيارين وتقاربهما، حتى مع تراجع التعصب وخفوت مستويات المواجهة.

فالسلفيون ينظرون إلى المجتمع بعين الباحث عن

الانحرافات لتقويمها مباشرة، وخاصة الانحرافات العقدية، أما الإخوان فينظرون إلى المجتمع بعين الباحث عن أدوات ووسائل السيطرة، والتحكم في إدارة هذا المجتمع بهدف إصلاحه، وكنتيجة مباشرة لهذين النهجين المختلفين، فإن السلفيين يرتفع عندهم الخطاب النقدي الوعظي للمجتمع، بينما يؤثر الإخوان الخطاب التصالحي الاحتوائي الذي يميل إلى غض الطرف عن كثير من الانحرافات، أو تأجيل البحث فيها إلى أجل غير مسمى.

وبتعبير أحد الإعلاميين من الإخوان، فإن «السلفيين يركزون على أمور الآخرة وينشغلون عن إصلاح الدنيا، لكن مهمة الإخوان هي إصلاح الدنيا والعمل للآخرة، فلو تأثر بعض الإخوان بهذا المنهج فسيحدث خلل»<sup>(١)</sup>.

فضية التأصيل الشرعي للتعامل مع الواقع تثير خلافاً إضافياً، فالسلفيون يطرحون الأمر بهذه الصورة: هل هذا التصرف جائز شرعاً؟ أما الإخوان

(١) صلاح الدين حسن: «الفضائيات السلفية والإخوان.. تغفل يثير قلقاً»، إسلام أون لاين، ٨/٦/٢٠٠٩م. والإعلامي هو «أحمد عز الدين»، على هذا الرابط:

#### ٤- القيادة والتأثير:

يملك المنتمون لجماعة الإخوان المسلمين قناعة قوية بأن حركتهم هي الجديرة بقيادة الأمة نحو الإصلاح والتغيير المنشود، وأن غيرهم من الجماعات الإسلامية هم مجرد عقبات في الطريق، لا يملكون أي خطط أو مشروعات واضحة للتغيير، ولذلك يجب إزاحتهم أو احتواؤهم، ومبعث هذه القناعة ثلاثة أمور:

#### أولها: الكيان الواحد القوي:

ينظر الإخوان إلى أنفسهم بوصفهم الجماعة الوحيدة التي استطاعت أن تحافظ على تماسكها وقوتها منذ نشأتها الأولى قبل ثمانين عاماً، كما أنها الجماعة الوحيدة التي تنتشر في كافة الدول العربية مع تبنيتها لمنهج واحد، فضلاً عن تمتعها بالكثافة العددية والإمكانات المادية، وفي المقابل فإن منافسيها من السلفيين لا تجمعهم جماعة واحدة ولا قيادة واحدة، وهم مختلفون فيما بينهم؛ بحيث إن بعض هذه التيارات أقرب إلى الإخوان من تيارات سلفية أخرى.

#### ثانيها: الكيان الوعائي الجامع:

تأسس الإخوان بوصفهم حركة جامعة لأشتات العاملين للإسلام، ووفق هذا المفهوم جاء منهج الجماعة مرناً بما يكفي لجمع هذا الشتات تحت راية واحدة، ومع تغير أوضاع العمل الإسلامي وظهور تيارات أخرى بخلاف الإخوان، ظلت الجماعة محتفظة بنفس المنهج ونفس التصور العام للعمل الإسلامي (الإخوان = الجماعة الأم)، ولذلك افتقد أتباع الإخوان القدرة على تكوين أطر فعالة للتواصل مع الجماعات الأخرى، وغلب على أطروحات الجماعة في هذا الصدد ترسيخ أسبقية الحركة وإمامتها على

من السلفيين في مقدمتهم الشيخ علي بن حاج إلى المشاركة في الانتخابات على نطاق واسع من خلال الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وهو ما أوقعه في دائرة الاستهداف من قبل سلفيين يرفضون الانتخابات، ويعتقدون ببدعية تأسيس حزب سياسي، وبعضهم من رفاقه وتلامذته، وكانوا يرفعون شعار «من السياسة ترك السياسة»<sup>(١)</sup>.

وفي لبنان ذات النظام العلماني الذي يجعل رئيس البلاد نصرانياً، ورئيس مجلس النواب شيعياً، تؤيد بعض الجماعات السلفية الدخول في الانتخابات، مؤكداً على أن ذلك يأتي بعد تأصيل شرعي واستفتاء للعلماء، يقول صفوان الزغبى رئيس جمعية وقف

التراث الإسلامي اللبنانية: «نحن منذ زمن بعيد نعتقد بجواز المشاركة في الانتخابات النيابية ترشحاً واقتراعاً، غير أنه لم يكن لنا مشاركة قوية في العملية الانتخابية، لكن عندما قررنا إثبات وجودنا على الساحة السياسية استفتينا كبار المشايخ في الدعوة السلفية فأصدروا هذه الفتوى، وأقدمنا»<sup>(٢)</sup>.

يدخل ضمن قضية التأصيل الشرعي للواقع عند السلفيين مشكلة أخرى، وهي وقوع بعض الرموز في تناقضات نتيجة ضغط الواقع نفسه، فنجد أنهم ينتقدون الإخوان في مسألة ما، بينما يتجاوزون في نفس المسألة عندما تمس نظاماً علمانياً.

(١) عبد الرحمن أبو رومي: «سلفية الجزائر انصراف حبات العقد»، إسلام أون لاين، ٢٢/٧/٢٠٠٨م.

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1216207933337&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1216207933337&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)

(٢) حوار مع الشيخ صفوت الزغبى رئيس جمعية وقف التراث الإسلامي السلفية في لبنان، موقع إسلاميون، ٧/٦/٢٠٠٩م.

[http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1243825021382&pagename=Islamyoun%2FIYALayout](http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1243825021382&pagename=Islamyoun%2FIYALayout)

النظام وصالح عدم معارضته، ولضرب التيارات بعضها ببعض»، ولذلك يعتقد العريان أن هذا «الانتشار السلفي» ستكون له آثار سيئة جدًا؛ لأنه يشيع -بزعمه- «مناخًا متشددًا جدًا في العلاقة بين المسلمين وبعضهم، لا يحترم الخلافات الفقهية، ويشيع أيضًا مناخًا من التشدد والتوتر تجاه غير المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

الغريب أن هذه التهمة ذاتها وُجّهت إلى الإخوان والحركة الإسلامية كلها في مصر مطلع السبعينيات، بالقول: إن السلطات سمحت لهم بالعمل داخل الجامعات لضرب الاتجاه اليساري<sup>(٣)</sup>.

ورغم أن هذا القول على درجة من الصحة، فلم يتهم أحد من الإسلاميين الإخوان بأنهم صنيعة النظام، أو ينتقص من قدرهم لهذا السبب.

في المقابل لا يعترف السلفيون بأحقية الإخوان في قيادة العمل الإسلامي، أو اتخاذ القرارات المصيرية بصورة مستقلة؛ نظرًا لاعتقادهم بصدقية مواقفهم المبنية على تأصيل شرعي منطلق من الكتاب والسنة، وأيضًا لافتقارهم بأن الإخوان يتجاوزون الكثير من الثوابت الشرعية في مسيرتهم السياسية.

#### ٥- التنافس الميداني:

نتج عن الترافق في النشأة -الذي سبقت الإشارة إليه- بين الإخوان والسلفيين، حدوث تداخلات كثيرة في ميادين العمل بين التيارين، ومع كل الاختلافات السابقة كان لا بد من حدوث احتكاكات وصلت في بعض الأحيان إلى التراشق اللفظي والتلاحم اليدوي في كل مكان يجتمع فيه السلفيون مع الإخوان حتى في المعتقلات.

(٢) صلاح الدين حسن: «الفنائيات السلفية والإخوان.. تغلف بثير قلقًا»، مرجع سابق.

(٣) انظر تفصيل هذه القضية في كتاب «الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر ١٩٧٤-٢٠٠٤م» تأليف د. سلوى العوا، دار الشروق، ص ٧٢-٧٥.

الآخرين، وهو ما نتج عنه إشكالات معقدة في واقع العمل الإسلامي، تزايدت مع عجز منظري الإخوان وكوادهم عن وضع آليات مؤثرة للتسيق أو التقارب مع الجماعات المغايرة.

#### ثالثها: المشروع القوي للتغيير:

لا شك أن الإخوان يمتلكون قدرات تنظيمية عالية، وأنهم نجحوا في بعض الدول في بناء هيكلية معقدة يصعب إجهاضها، كما أنهم يمتلكون مشروعًا قويًا للتغيير، وهو ما كشفت عنه قضية «سلسبيل» في مصر، والتي بينت وثائقها أن الإخوان لديهم مشروع أُطلق عليه اسم «التمكين» يعيد تنظيم الجماعة إداريًا، ويرتب هياكلها ومؤسساتها المختلفة بطريقة بالغة الدقة، ويرسم لها خطوات محددة وممنهجة للسيطرة وتولي السلطة سلميًا، وهو المشروع الذي اكتشفت وثائقه عام ١٩٩٢م على «ديسكات» كمبيوتر في شركة سلسبيل التي كان يمتلكها خيرت الشاطر عضو مكتب الإرشاد<sup>(١)</sup>.

هذا المشروع القوي يجعل قيادات الإخوان ينظرون بنوع من «الاستصغار» للأجندة السلفية، وما تحويه من أنشطة وأهداف وطموحات، كما يقول الدكتور عصام العريان إن: «السلفيين يهتمون بالقضايا الجزئية الفرعية التي تحيطها الخلافات الفقهية، والاهتمام بالتدين الظاهر، أما الإخوان فيهتمون بمسائل أوسع من ذلك بكثير وأكثر تنوعًا».

ويؤكد العريان -بمفهوم كلامه- توفر القناعة لدى قيادات الإخوان بأن السلفيين هم عقبة في طريق التغيير؛ حيث يعتبر أن انتشار الخطاب السلفي عبر الفضائيات هو من تخطيط عناصر داخل النظام، فيقول: «في داخل النظام من يجيد لعبة التوازنات، أو يحاول أن يوظف كل الاتجاهات في صالح بقاء

(١) حسام تمام، تحولات الإخوان المسلمين.. تفكك الأيديولوجيا ونهاية التنظيم، مرجع سابق، ص ٩.

وللجماعة الإسلامية في حقبة السبعينيات<sup>(1)</sup>.

### كيف تعمل هذه الأسباب في إدارة العلاقة بين التيارين؟

إن هذه الأسباب تعمل مجتمعة مع تفاوت تأثير كل منها بحسب اختلاف الظروف، وفي بعض الأحيان قد يتراجع تأثير بعضها إلى الحد الأدنى.

هذه الأسباب ليست حاضرة بنفس الدرجة مع كل من التيارين، فالأسباب العلمية تصوغ القدر الأكبر من التصور السلفي عن الإخوان، بينما عامل تفسير الواقع والتعامل معه يصوغ القدر الأكبر من التصور الإخواني عن السلفيين، وبينهما عوامل تحمل نفس القدر من التأثير مثل: التنافس الميداني.

كما أن الانتقادات العلمية الموجهة إلى الإخوان بصفة عامة لا يمكن إسقاطها عينا على كافة المنتمين للإخوان؛ إذ يوجد في صفوفهم من هو غير راضٍ عن توجهات القيادات والرموز واختياراتهم الفقهية والسياسية، ومثال ذلك: الموقف من الشيعة وإيران، فعلى الرغم من التأييد العلني لإيران على لسان المرشد محمد مهدي عاكف، إلا أنه يوجد بين صفوف الجماعة من يرفض هذا التوجه وينكره، وقد كتب الدكتور عصام العريان القيادي البارز في الإخوان مقالا بعنوان: «إيران إلى أين... ولاية الفقيه أم ولاية الأمة؟» ينتقد فيه النظام الإيراني في محاولة لموازنة موقف المرشد، كما تبنى الدكتور يوسف القرضاوي موقفاً قوياً في كشف المخططات الشيعة في دول عربية.

وفي قضية أخرى شنت الداعية الإخواني المعروف وجدي غنيم هجوماً حاداً على الدكتور طارق السويدان بسبب استفتاء نُشر على موقع قناة الرسالة عن تحكيم الشريعة، وهو ما عدّه الشيخ غنيم وسطية مزعومة ومرفوضة؛ كونه يحول قضية عقدية إلى مسألة اختيارية، ونصح السويدان بالتوبة عن هذا التوجه<sup>(2)</sup>.

(1) شهادة د.برهامي ج ٣، مرجع سابق.

(2) <http://www.youtube.com/watch?v=2VHoMUbx1jA>

ويبدو هذا العامل عسيراً في تجاوزه نحو تحقيق التقارب المنشود، وإن كانت بعض التجمعات السلفية الفاعلة في مصر قد نجحت في إرساء نموذج فعّال لتجفيف منابع التصارع الميداني مع الإخوان في نطاق عملهم الدعوي المشترك، بل تجاوزت ذلك إلى إرساء قواعد مشتركة لبناء علاقة ود وتواصل بعيداً عن التعصب والخصومة.

وتتحدد ميادين التنافس عادة بحسب المجالات التي تخوضها التيارات السلفية، في مصر -على سبيل المثال- تنشأ الصراعات في ميادين الدعوة الطلابية وفي المساجد، وفي الكويت تمثل الانتخابات ساحة واسعة للصراع وتبادل الاتهامات.

وتتفاوت حدة التنافس بحسب التناسب بين قوى التيارين، وهذا يتغير من دولة لأخرى، في مصر مثلاً يحتل الإخوان الصدارة من حيث الانتشار العددي والجغرافي والتنظيمي، بينما في الكويت تبدو الصورة متعادلة، وفي بعض دول الخليج تتفوق التيارات السلفية في جميع المجالات، ومع تأمل حالة العلاقة بين الإخوان والسلفيين في هذه النماذج الثلاثة (مصر - الكويت - دول خليجية أخرى) يمكن الخروج بنتيجة مهمة للغاية:

١- أن السلفيين عندما يكونون أقلية، فإن مستوى انتقادهم للإخوان يتزايد بدرجة ملحوظة، والعكس عندما يصبح السلفيون أغلبية في دولة ما، فإنهم ينهجون نهجاً معتدلاً في التعامل مع الإخوان.

٢- وعلى النقيض من ذلك بالنسبة للإخوان، فهم يبدون تعصباً أقل عندما يصبحون أقلية في دولة ما، ولكنهم يزدادون تعصباً ضد السلفيين عندما يصبحون أغلبية.

٣- يقدم أداء الإخوان المتعصب في بعض الأحيان دافعاً قوياً للسلفيين؛ كي ينظموا صفوفهم، ويرفعوا رايتهم، وقد تأسست المدرسة السلفية بالإسكندرية بالأساس عام ١٩٨٠م ردّاً على اختراق الإخوان

هي في الوقت نفسه التيارات السلفية الأقل حدة في انتقاد الأنظمة العلمانية في الدول العربية، فهل يمكن اعتبار ذلك قاعدة مطردة؟ ومن ناحية أخرى نفس هذه التيارات تحول نفسها تدريجياً إلى ما يشبه «مركز المنهج السلفي» من يقترب منه فقد اقترب من السلفية، ومن ابتعد عنه فقد ابتعد عنها، لذلك فإن أكثرها حدة عادة ما يكون في حالة خصومة مستمرة مع بقية التيارات المخالفة له سلفية وغير سلفية، وأغلب هؤلاء ليسوا جماعات بالمعنى المعروف، وإنما يغلب عليهم نمط «الشيخ والأتباع».

## سيناريوهات التقارب بين الإخوان والسلفيين

المعنى بهذا المحور الجماعات والتيارات والتجمعات، وليس الأشخاص، فالقواعد التي تحكم التقارب بين التيارين على المستوى الجماعي لا تنطبق بالضرورة على التقارب الفردي.

ومن المهم قبل استعراض تلك السيناريوهات التأكيد على أن هذه الدراسة لا تتعامل مع كل من التيارين السلفي والإخواني بوصفه كتلة واحدة، فواقع الأمر أن التيار السلفي تتعدد تفرعاته، كما أن الإخوان وإن كانوا جماعة واحدة في المجمل من حيث المنهج العام، إلا أنه يمكن النظر إليهم واقعياً على أنهم جماعات متعددة من الناحية الجغرافية، وأيضاً فإنه يمكن النظر إلى بعض القطاعات والشرائح داخل الجماعة الواحدة في البلد الواحد بوصفهم كتلة متجانسة تنطبق عليها السيناريوهات المعروضة لاحقاً.

بمعنى أنه عندما نتحدث -مثلاً- عن احتمال حدوث اندماج بين السلفيين والإخوان، فلا نقصد بالضرورة عموم السلفيين وجماعة الإخوان الدولية، فقد تنطبق

النقطة السابقة تلفت إلى أهمية استحضار وصف «الفكر الوعائي» عند نقد الإخوان، بمعنى أنهم لا يتبنون بالضرورة موقفاً واضحاً محدداً في كافة الإشكالات الشرعية التي يُتهمون بها، ولكنهم بمثابة الوعاء الذي يقبل بأن يضم اتجاهات مختلفة تتبنى رؤى واختيارات متعارضة أحياناً حول قضايا مهمة، وأقرب مثال على ذلك هو اختلاف موقف قيادات الإخوان في العراق من الاحتلال والاتفاقية الأمنية مع الولايات المتحدة.

فعلى الرغم من التأييد الرسمي للحزب الإسلامي

للاتفاقية، وقبل ذلك مشاركته لمؤسسات الحكم التي أنشأها الاحتلال، فإن قيادات بارزة في إخوان العراق أفتوا بخلاف ذلك، فقال الدكتور عبد الكريم زيدان -المراقب العام للإخوان المسلمين سابقاً-: «إن المقرر في الفقه الإسلامي والمتفق عليه بين الفقهاء أنه إذا احتل بلد مسلم وجب شرعاً على أهل هذا البلد وذي السلطة إخراج المعتدي المحتل، وهذا واجب شرعي لا يسقط بالتقادم ولا تجوز المساومة عليه».

وقال الشيخ محمد أحمد الراشد: «ليست الاتفاقية في مصلحة العراق، وهي تطعن خاصة الإسلام، وتستمر في ظلم المجاهدين، ولا يمكن تأويلها بخير، وهي منكر وحرام في عقيدة التوحيد وأحكام الشرع، ولا مجال للإفتاء بغير حرمة التوقيع عليها، وإسقاطها واجب الوقت»<sup>(1)</sup>. وكان الراشد قد أصدر كتاباً بعنوان «نقض المنطق السلمي» أنكر فيه أي مصلحة مزعومة للخيار السياسي من خلال التعاون مع سلطات الاحتلال.

وهناك ظاهرة تحتاج إلى دراسة مستقلة، وهي أن بعض التيارات السلفية الأكثر حدة في انتقاد الإخوان،

(1) برنامج المشهد العراقي قناة الجزيرة ٢/١١/٢٠٠٨م.

### ثانياً: سيناريو الاندماج:

وفق هذا السيناريو تقوم جماعتان -سلفية وإخوانية- بالاتحاد وتكوين جماعة جديدة لها منهج مستقل عن المنهجين القديمين؛ بحيث إن المنهج الجديد يتضمن ثوابت وأفكاراً سلفية وإخوانية يتم التوافق عليها بين المؤسسين للتيار الجديد، مع التنازل أو التفاوضي عن ثوابت أخرى، وكذلك التنازل عن الاسم القديم للتيار واستبداله بتسمية جديدة.

ورغم صعوبة حدوث مثل هذه التقاربات الحادة؛ كونها تتضمن التنازل عن الانتماءات الأصلية، إلا أنها حدثت بدرجة ما في الجزائر؛ حيث توحدت شرائح كانت تنتمي سابقاً إلى تيار الإخوان المسلمين المحلي والتيار السلفي -إضافة إلى آخرين- وتكونت جماعة جديدة هي الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

وقريباً من هذا ما حدث في إريتريا؛ حيث اتفق الإخوان والسلفيون على تشكيل تجمع واحد سُمي بحركة الجهاد الإريتري استمر لعدة سنوات، ثم حصل الشقاق من جديد.

لكن أن تحدث هذه الاندماجات على مستوى جماعة كبيرة بأسرها، مثل إخوان مصر، أو إخوان الأردن، فلا يوجد لها سابقة، ولا يتوقع أن تكون لاحقة، والله أعلم.

### ثالثاً: سيناريو التحالف:

في هذا السيناريو لا يحدث أي تداخل منهجي، ولكن يقدم كل تيار تنازلات تكتيكية من أجل التوافق على تحقيق هدف مرحلي مشترك -الانتخابات مثلاً-، وقد يكون تحالفهما كلياً مستمراً، كأن يكون توافقاً على إنشاء حزب سياسي مشترك، أو الدخول

التوقعات على العلاقة بين جماعة سلفية في منطقة معينة، وبين فرع الإخوان المسلمين في هذه المنطقة دون غيرها.

وأخيراً فإن هذه السيناريوهات تدمج بين ما هو قائم بالفعل، وما هو محتمل، وما هو مأمول.

### أولاً: سيناريو الذوبان:

يتضمن هذا السيناريو تحول أحد التيارين - السلفي أو الإخوان- عن منهجه الفكري إلى المنهج الآخر بصورة تامة؛ بحيث يتنازل عن مقتضيات وثوابت منهجه القديمة

ولو ازم الانتماء السابقة بما فيها المسمى العام.

وهذا يعني أن السلفي تتكون لديه قناعة بتحوله إلى عضو في جماعة الإخوان، أو العكس بالنسبة للإخواني.

ومن الصعب تخيل حدوث تحولات جذرية بهذه الحدة في الماضي أو المستقبل، نعم قد يحدث ذلك بمعدلات متزايدة على المستويات الفردية، ولكن أن تتنازل جماعة عن منهجها واسمها بهذه الكيفية، فذلك أمر مستبعد.

لكن هذا القول ليس على إطلاقه، فقد رُصدت حالات قديمة في بعض الدول-مثل سوريا- حدث فيها ذوبان كامل لقطاعات كانت تنتمي إلى السلفية، وأصبحت منتمية لاحقاً إلى جماعة الإخوان المسلمين في بداية تأسيس فرعها السوري عام ١٩٤٥م، كما سبقت الإشارة إلى تحول قطاعات واسعة من الجماعة الإسلامية السلفية في مصر أواخر السبعينيات إلى جماعة الإخوان، ولكن تجب الملاحظة أن ذلك كان فقط في بداية التأسيس والنشأة، وقبل أن تظهر التيارات السلفية بصورتها المعروفة حالياً، وتتطور تصوراتها ومناهجها وأساليبها.

ولا يشترط أن تتطلق هذه المشروعات المشتركة من اتفاق رسمي بين التيارين، ولكن يكفي أن يحصل الأتباع على الضوء الأخضر، وعادة ما تكون المبادرات الفردية لتحقيق تقارب جماعي أكثر فاعلية وتأثيراً.

#### خامساً: سيناريو التأييد:

تتقلص العلاقة في هذه الحالة لتصل إلى مستوى الاكتفاء بالتأييد والنصرة في مواطن البلاء والشدة خاصة، وتتوسع أساليب ووسائل التأييد ما بين تقديم الدعم المادي أو المعنوي، ولا يجب أن يقتصر ذلك على التيارات الأبعد جغرافياً، بل ينبغي الحرص على أن تتواصل دوائر التأييد والنصرة في البلد الواحد لبلوغ مستويات أعلى من التقارب، وإزالة الحواجز النفسية وبواعث التعصب.

#### سادساً: سيناريو كف الأذى:

تختزل العلاقة بين الإخوان والسلفيين حسب هذا السيناريو، وصولاً إلى الحد الأدنى من التقارب، وهو «كف الأذى»، وهو المستوى المطلوب من المسلم العادي، كما جاء في سؤال أبي ذر -رضي الله عنه- عن أي الأعمال أفضل؟ فتدرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال عليه السلام في نهاية الحديث: «تكف أذاك عن الناس فإنها صدقة تصدق بها على نفسك»<sup>(١)</sup>.

وانطلاقاً من هذه المستوى ينبغي أن تتوقف كافة الحملات الدعائية والإعلامية المهاجمة للتيار الآخر، وأن يتم استبدالها بوسائل وقنوات راشدة لتبادل النصح والتوجيهات والمعلومات، كما يلزم وضع آليات لاحتواء الخلافات الميدانية، وتأسيس لجان متخصصة لمتابعتها، وحل الإشكالات الناجمة عنها بصورة فورية، مع الاتفاق على مرجعية تحكيم للفصل في النزاعات المشتركة تضم علماء ودعاة من الطرفين مشهود لهم بالاعتدال وعدم التعصب.

(١) متفق عليه.

تحت اسم واحد وكتلة واحدة في الانتخابات بصورة دائمة.

وقد يكون التحالف جزئياً مؤقتاً، كالمشاركة في دورة واحدة، سواء في انتخابات البرلمان، أو النقابات المهنية، أو الاتحادات الطلابية.

والتحالف بصورته الكلية لا توجد أمثلة حقيقية على تحققه بين الإخوان والسلفيين، وإن كانت العقبات في طريقه ليس من العسير تجاوزها، خاصة أن التحالف الجزئي حدث بالفعل في عدة حالات، منها التحالف الذي تم بين التيارين في انتخابات الاتحاد الطلابي الوطني في الكويت، ودخولهما تحت مسمى «الكتلة الإسلامية»، وكانت النتيجة تحقيق فوز كاسح بلغت نسبته ٤٧٪، وذلك على الرغم من أن التيارين دخلوا الانتخابات النيابية قبل ذلك بأشهر كمتنافسين، وهو ما أسفر عن تحقيقهما نتيجة متداعية.

ومن المهم ملاحظة التحالفات السياسية التي عقدها إخوان مصر مع عدد من الأحزاب العلمانية مثل حزبي «الوفد» و«الأحرار»، ثم حزب «العمل» الذي تغيرت وجهته اقترباً من الإسلام لاحقاً.

#### رابعاً: سيناريو الشراكة:

لا توجد وفق هذا السيناريو أي تداخلات منهجية، أو ارتباطات دائمة على مستوى الجماعة، ولكن يتم التوافق على تنفيذ -أو تأسيس- مشاريع مشتركة تخدم أجندة كل من التيارين، وقد تكون مشاريع مستمرة كإنشاء مؤسسة إعلامية أو خيرية، أو دعوية مشتركة، وقد تكون مؤقتة، مثل عقد مؤتمر أو ندوة.

هذه التداخلات العملية من شأنها أن تخفف درجة الاحتقان، كما أنها تفيدي في تلاقح الأفكار ونقل الخبرات، وإثراء العمل الإسلامي، وأيضاً فإنها تفتح مجالاً واسعاً لتبادل النصح وتصحيح المفاهيم.

## ملامح عامة حول استراتيجية التقارب المنشودة

١- ما سبق ذكره من سيناريوهات للتقارب بين الإخوان والسلفيين لن يكتسب أي قيمة إذا لم تتوفر دوافع قوية لدى التيارين لتحقيقها، وبدون هذه الدوافع يصبح الكلام عن إزالة الخلافات ورأب الصدع تحصيل حاصل، والمشكلة في هذه الدوافع أن بعض القيادات لدى الطرفين ربما تعتقد بأن مصلحة جماعتها في بقاء الهوية واستمرار الخلافات؛ حفاظاً على الهوية، أو لعدم القناعة بوجود أي فائدة تعود على الجماعة من هذا التقارب.

٢- تتوفر إمكانية كبيرة لتبادل التأثير الإيجابي بين التيارين بعيداً عن تبادل العلاقات والتواصل بصورة رسمية، وهناك أمثلة ودلائل واضحة على التأثير القوي المتبادل بين الإخوان والسلفيين؛ من حيث تأثر كل تيار بمنهج وأفكار التيار الآخر، فقد استفادت فصائل سلفية كثيرة من خبرات الإخوان وتجاربهم الدعوية والتنظيمية والتربوية، وعدد لا بأس به من نشطاء الدعوة السلفية بدءوا مسيرتهم الدعوية في صفوف الإخوان.

ومن ناحية أخرى فإن الوجود السلفي بزخمه وتأثيره وخطابه وثقله العلمي يمارس دوراً رقابياً بالغ الأهمية في «كبح» منحى التميع الفقهي لدى الإخوان-نسبياً-، وخاصة مع انتشار هذا الخطاب من خلال وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة؛ إذ كان الإخوان يراهنون دوماً على صعوبة تقبل الناس لهذا الخطاب، وهو ما ثبت عكسه تماماً.

ومن أمثلة التبادل الإيجابي الواضحة، تأثر حركة حماس الفلسطينية بعلاقاتها القوية مع التيار السلفي في الخليج العربي، فقد مارس هذا التيار دوراً فعالاً في ترشيد مسيرة الحركة من خلال النصح المتبادل والشورى الراشدة.

٣- قدمت تيارات الصحوة في بعض دول الخليج وبعض التيارات السلفية في مصر نموذجاً راقياً في التعامل مع الجماعات المخالفة لها-وفي مقدمتها الإخوان المسلمون- بعيداً عن التعصب، ونجحت في تحقيق مستويات مقبولة-وليست منشودة- من تخفيف حدة التأزم البيني، وهذا النموذج غير مسبوق لدى كافة تيارات العمل الإسلامي، وهو نموذج قابل للاقتداء به، ويحتاج إلى تفعيل تجاربه على كافة المستويات.

٤- التقارب مع التيارات الأبعد أكثر احتمالاً من التقارب مع التيارات الأدنى؛ إذ نجد في حالات متعددة أن علاقة إحدى جماعات الإخوان بالتيارات السلفية الأبعد عن نطاق عملها الجغرافي أكثر إيجابية من التيارات التي تشاركها ميادين العمل، ينطبق ذلك على علاقة حماس بالتيار السلفي الخليجي، مقارنة بعلاقتها مع السلفيين في فلسطين، أو في غزة تحديداً، نفس الأمر ينطبق على موقف غالبية السلفيين في مصر من حركة حماس، وتأييدهم لها، خاصة في الحرب الأخيرة، مقارنة بموقفهم من إخوان مصر.. وهكذا.

٥- يوجد بين السلفيين من يقترب بفكره وأطروحاته التغييرية من الإخوان المسلمين دون الإشكالات العلمية، كما يوجد في المقابل بين صفوف الإخوان من يقترب بخطابه وخياراته الشرعية من السلفيين، وتلك النقطة تصلح أن تكون ملتقى للنصح وتبادل التأثير.

٦- على الصعيد الإعلامي فإن المنابر التي تتبنى الخطاب السلفي في مجملها أكثر انتشاراً وأسرع وصولاً إلى الجماهير، خاصة فيما يتعلق بالخطاب الديني، وذلك مقارنة بمنابر الإخوان المسلمين.

وهذا النجاح في التأثير في الرأي العام أحدث تغييرات-جذرية أحياناً- لدى القاعدة العامة للإخوان، هذه الطفرة في الوضعية السلفية أجبرت قيادات ومنظري الإخوان على إعادة النظر في تقويمهم

٨- على الجانب السلفي فإنه نتيجة تصنيف منهج الإخوان عند كثير من التيارات السلفية بوصفه منهجاً مخالفاً لأحكام الشرع ومتجاوزاً لثوابت دينية، فقد أصبحت مجرد فكرة التقارب مع الإخوان «تهمة» يجب المسارعة بنفيها، ويوجد على الساحة السلفية تيارات تنظر إلى الإخوان نظرة معتدلة منصفة؛ تثبت إيجابياتهم وسلبياتهم على السواء، ولكنها في النهاية لا تعبر عن مجمل التيار السلفي الذي لا يزال في معظمه يفتقر إلى دوافع قوية لتحقيق التقارب مع جماعة الإخوان المسلمين.

أهمية تعميق ثقافة التقارب، والتي يمكن تضمينها بعض المفاهيم الواقعية، وذلك في محاولة لتجاوز عقبة عدم توفر الدوافع لتحقيق التقارب على الجانبين، ومن أمثلة ذلك:

١- معلومات إحصائية عن القوة المجتمعة للإخوان والسلفيين في المجتمعات الإسلامية، وعن جهود خصومهم في تعميق الهوة بينهم.

٢- توفر التكامل بين التيارين، وحاجتهما سوياً لتفعيل هذا التكامل على أرض الواقع، والذي يتمثل في جوانب كثيرة منها:

- قدرة السلفيين البالغة على الوصول إلى الرأي العام من خلال خطابهم ورموزهم الدينية، مقارنة بقدرة الإخوان على الوصول المباشر إلى آحاد الناس وتجمعاتهم ميدانياً.

- غلبة الجانب العلمي على السلفيين مقارنة بغلبة الجانب الحركي على الإخوان.

لإمكانات التيارات السلفية، وقدراتها على التأثير في المجتمعات الإسلامية، ولا شك أن شعور الإخوان بأنهم أمام طرف لا يُستهان بقوته، ولا بإمكاناته سيجعل من غير الممكن التعامل مع هذا الطرف بنفس الأفكار القديمة التي تحتقر الوجود السلفي وتتقص من قدره.

وبمعنى آخر فإن تزايد قوة السلفيين وتنامي تأثيرهم يصب في اتجاه التقارب وليس التباعد، وإن كانت بعض الكتابات المنتمة إلى الإخوان تبرز هذه الظاهرة على أنها نذير خطر.

وعلى سبيل المثال فإن انتشار الخطاب السلفي من خلال الفضائيات يثير القلق لدى الإخوان كما سبق ذكره، إلى درجة أن بعضهم

يزعم أن انتشار الخطاب السلفي يهدد مشروع الدولة الإسلامية، يقول أحد الإعلاميين الإخوان:

«إن السلفيين يركزون على أمور الآخرة وينشغلون عن إصلاح الدنيا، لكن مهمة الإخوان هي إصلاح الدنيا والعمل للآخرة، فلو تأثر بعض الإخوان بهذا المنهج فسيحدث خلل.. لو بدأت الأمور تمضي في هذا الاتجاه فقط، وتم سحب رصيد الناس التي تدعو إلى إصلاح الدنيا هنا يكون موطن الخطر، ليس على الإخوان، ولكن على الدولة الإسلامية نفسها»<sup>(١)</sup>

٧- أفادت تجارب عديدة أن التواصل الفردي مع رموز وقيادات الإخوان يعطي نتائج أفضل من التواصل الجماعي العام، وربما يأتي ذلك نتيجة تأثر الإخوان بالقاعدة المعمول بها في ثقافتهم التنظيمية «يسع الفرد ما لا يسع الجماعة».

(١) صلاح الدين حسن: «الفضائيات السلفية والإخوان.. تغلغل يثير قلقاً»، مرجع سابق.



## معلومات إضافية

### دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

دعوة إصلاحية دينية سلفية تدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وتسير على خطى أهل السنة والجماعة، نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بادئاً من إقليم نجد في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، فارتبطت باسمه، وصار البعض يطلق عليها «الوهابية».

يُعدُّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب أهمَّ من انتقل بالتجديد الإسلامي، في العصر الحديث، من إطار التجديد الفردي والمشروع الفكري إلى إطار «الدعوة» التي اتخذت لها دولة ترميها وتقاتل في سبيل نشرها، الأمر الذي جعل لدعوته التأثير والاستمرارية، وهو ما لم تحظَّ بهما دعوات تجديدية أخرى.

ولقد كان تجديد الشيخ ابن عبد الوهاب واجتهاده اختياراً في إطار المذهب الحنبلي، واستدعاء لنصوص ومقولات أعلامه - وخاصة مؤسس المذهب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥م)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م). وكان اجتهاد اختيارات في إطار المذهب، استدعى النصوص والمقولات التي تنقّي عقيدة التوحيد مما ران عليها وشابها من مظاهر الشرك والبدع والخرافات، على النحو الذي ناسب بيئة نجد ومشكلاتها في ذلك التاريخ.

وليس لمحمد بن عبد الوهاب دعوة خاصة، بل هي دعوة الإسلام الحق، ومنهجه هو منهج الإسلام. يقول: «إني -ولله الحمد- متَّبِعٌ ولسنت بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة»

### مؤلفاته:

ترك الشيخ محمد بن عبد الوهاب العديد من الكتب والرسائل التي عالج فيها المشكلات التي اهتمت بها دعوته التجديدية الإصلاحية، منها:

(كتاب التوحيد) و(كشف الشبهات) و(تفسير سورة الفاتحة) و(أصول الإيمان) و(تفسير شهادة أن لا إله إلا الله) و(معرفة العبد ربه ودينه ونبيه) و(المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية) - وفيها أكثر من مائة مسألة - و(فضل الإسلام) و(نصيحة المسلمين) و(معنى الكلمة الطيبة) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و(مجموعة خطب) و(مفيد المستفيد) و(رسالة في أن التقليد جائز لا واجب) و(كتاب الكبائر).

### مصطلح الوهابية:

إطلاق اسم (الوهابية) على الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ أولاً من الخصوم، وكانوا يطلقونه على سبيل التنفير واللمز والتعيير، ويزعمون أنه مذهب مبتدع في الإسلام أو مذهب خامس.

ولم يكن استعمال (الوهابية) مرضياً ولا شائعاً عند أصحاب هذه الحركة وأتباعهم، ولا عند سائر السلفيين أهل السنة والجماعة، وكان كثير من المنصفين من غيرهم والمحايد يتفادون إطلاق هذه التسمية عليهم؛ لأنهم

يعلمون أن وصفهم بالوهابية كان في ابتدائه وصفاً عدوانياً إنما يُقصد به التشويه والتفجير وحجب الحقيقة عن الآخرين، والحيلولة بين هذه الدعوة المباركة وبين بقية المسلمين من العوام والجهلة، وأتباع الفرق والطرق، بل وتضليل العلماء والمفكرين الذين لم يعرفوا حقيقة هذه الدعوة وواقعها.

ولقد صار لقب (الوهابية) وتسمية الحركة الإصلاحية السلفية الحديثة به هو السائد لدى الآخرين من الخصوم، وبعض الأتباع والمؤيدين المحايدون (تنزلاً). وهو الوصف الرائج عند الكثيرين من الكُتّاب والمفكرين والمؤرخين والساسة، والمؤسسات العلمية، ووسائل الإعلام إلى يومنا هذا.

#### المصادر:

- د. محمد أمين فرشوخ، موسوعة «عباقره الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة»، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الجزء الأول، ١٩٩٦م.

- د. محمد عمارة، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف المصرية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- د. ناصر عبد الكريم العقل، إسلامية لا وهابية، وهو ملخص عن كتاب بعنوان (دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - حقيقتها ورد الشبهات حولها) مقدم إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

- موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، ٢٠٠٧م.



#### تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في مصر:

نشأت جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨م، على يد الشيخ «حسن البنا» الذي كان يعمل مدرّساً في مدينة الإسماعيلية بعد تخرجه في «دار العلوم»، وبقي في هذه الوظيفة إلى أن استقال منها عام ١٩٤٦م ليتفرغ للعمل في جماعة الإخوان المسلمين.

وكان البنا قد انخرط في العمل الوطني في وقت مبكر من خلال التظاهر والاحتجاج، وشارك في إنشاء عدد من الجمعيات التي تدعو إلى الفضيلة والأخلاق، وتحارب المنكرات إلى أن أسس جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٧م، وخلص منها إلى تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية في مارس ١٩٢٨م، وأتبعها لاحقاً بقسم «الأخوات المسلمات» (٢٦ أبريل ١٩٢٣م).

- يعتبر مؤرخو الحركة ومنظروها، وبعض المراقبين، أن دعوة الإخوان كانت رد فعل عملي لسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية رسمياً على يد كمال أتاتورك في تركيا عام ١٩٢٤م، وكذلك كانت رد فعل على حالة التفسخ والتفريب التي انتشرت في المجتمع المصري في ظل وجود الاستعمار البريطاني في ذلك الوقت.

- كان منهج عمل الإخوان دعويّاً إصلاحياً مستمداً من امتدادات الفكر الإصلاحي والدعوي الذي اكتسبه

الشيخ البنا من ملازمته للشيخ محمد رشيد رضا -الذي عاصره البنا لفترة قصيرة، وكان له معه مراسلات- والشيخ محب الدين الخطيب، ومن تأثير الصوفية التي لازمها في نشأته، وكذلك التعليم المدني والشعري الذي تلقاه في المدارس وفي دار العلوم، إضافة إلى خبرته وآرائه.

- ظلت دعوة الإخوان المسلمين بعيدة عن السياسة حتى عام ١٩٣٧م؛ إذ بدأت العمل لصالح القضية الفلسطينية بالتنسيق مع الشيخ أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الفلسطيني، ثم خاضت الجماعة غمار السياسة المحلية في مصر.

- تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو اختارهم الشيخ حسن البنا بنفسه.

- بدأت الجماعة في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي بالانتشار خارج مصر، وكان دعواتها يسافرون إلى الأقطار العربية، يلتقون العلماء والوجهاء، ويلقون المحاضرات، ويؤسسون لتشكيلات الإخوان في تلك الأقطار.

- شارك الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨م؛ حيث دخلوا بقوات خاصة بهم، وقد سجل ذلك بالتفصيل كامل الشريف -من قادة الإخوان المتطوعين ووزير أردني سابق- في كتابه: «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين».

- في مساء الأربعاء ٨ ديسمبر ١٩٤٨م أعلن رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي حل جماعة الإخوان المسلمين، ومصادرة أموالها، واعتقال معظم أعضائها.

- في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م اغتيل النقراشي، واتُّهم الإخوان بقتله، وهتف أنصار النقراشي في جنازته بأن رأس النقراشي برأس البنا، وفي ١٢ فبراير ١٩٤٩م أطلق النار على حسن البنا أمام جمعية الشبان المسلمين.

استمرت الجماعة بغير اختيار لمرشد جديد حتى عام ١٩٥١؛ حيث تم اختيار المستشار حسن الهضيبي، واستمرت هذه المرحلة حتى عام ١٩٥٤؛ حيث الصدام التاريخي الشهير بين النظام الناصري الجديد والإخوان الذي أدى إلى اضطهاد الجماعة، وملاحقة أعضائها ومؤيديها، وإعدام قادتها، واستمرت فترة الصدام مع النظام الناصري، وبقيت الجماعة تعمل بشكل سرّي حتى وفاة الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠م.

بدأ الإخوان عهداً جديداً مع الرئيس أنور السادات؛ حيث بدأ بالإفراج عن الإخوان منذ عام ١٩٧١م حتى أفرج عن الجميع في عام ١٩٧٥م.

#### المصادر:

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (نسخة إلكترونية).

- الإخوان المسلمون.. إلى أين؟ الجزيرة نت، ٣/١٠/٢٠٠٤م على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/305785D9-7ED2-412B-B30E-F95F703EEB06.htm>

- إبراهيم غرايبة، جماعة الإخوان المسلمين في الأردن ١٩٤٦-١٩٩٦م، مركز الأردن الجديد للدراسات، ١٩٩٧م.

